مَثَلُ البَعُوضَةِ وما فَوْقَها في القُرآنِ الكريمِ .. والإعجازُ الذي أَبْهَرَ العقُولَ وَحَيَّرَ الاَفهامَ

الشيخ
عبد الله جبر عليوي جبر الخطيب

اقْرَأ: تَأَمُّلاَتٌ في قَولِهِ تَعَالى: (مَا بَعُوضَـةً فَمـَا فَوْقَهـَا)
ماذا تَعْرِفُ عن البَعُوضَةِ؟ وَلِماذا ضَرَبَها اللَّهُ تعالى مَثَلاً في القُرآنِ الكريمِ؟

إعجازاتٌ قُرآنيةٌ وَحَقائِقٌ عِلميةٌ مُذْهِلةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المقدمة:

الحمدُ للهِ الملكِ المعبودِ، ذي العطاءِ والمنِ والجودِ، واهبِ الحياةِ وخالقِ الوجودِ، الذي اتصف بالصمديةِ وتفرد بالوحدانيةِ. والملائكةُ وأولو العلم على ذلك شهود، الحمدُ له لا نُحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه حيث كان ولم يكن هناك وجود. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريكَ لَهُ الحي القيوم الحميد، ذو العرشِ المجيدِ، الفعال لما يُريد، المُحصي المُبدئ المُعيد، خلقَ الخلقَ فمنهم شقيٌ ومنهم سعيد، قدَّمَ للعاصين بالوعيد، وبشر الطائعين بالجنةِ وبالمزيد. وأشهدُ أنَّ سيدنا محمداً عبدهُ ورسولهُ، ذو الخُلقِ الحميد، والرأي الرشيد، والقول السديد، بلَّغ الرسالة على التحديد، وأدى الأمانةَ دونَ نقصٍ أو مزيد، أرشدنا إلى طريقِ الهداية والتسديد، وحذرنا من التردي في الغَوايةِ والضلالِ البعيد، وجمعَ الأمةَ تحتَ لواءِ أجلِّ رايةٍ، راية التوحيد، فاختصه ربُّهُ بالوسيلةِ والفضيلةِ وبشَّره بالمقامِ المحمود، والظلِ الممدود، والحوضِ المورود، واللواءِ المعقود، وجعله يوم القيامة شهيدًا على الشهود. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آلهِ الأطهار وصحبهِ الأخيار، عددَ خَلقِك وَزِنةَ عَرشِك ورضا نفسِك ومدادَ كلماتك، وعددَ أوراقِ الأشجارِ،

وما تعاقبَ الليلُ والنهار، وما دامت الشمسُ في فَلكها والقمرُ في المدار، وماجرت المياهُ في البحارِ والأنهارِ، وما سَبّحتْ لكَ المخلوقات والأفلاكُ والأطيار... وبعد:

قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ)) [سورة البقرة: ٢٦].

لقد استهانَ الناس عبرَ الأجيال بالبعوضةِ لضآلتها وصغرِ حجمها فاستنكر عليهم القرآنُ استهانتهم بها في تعبيرٍ معجزٍ بليغٍ يشي بخطورتها واتخذها مثلاً يتحدى به قبل أن يُعرَفَ دورها في نقلِ الأمراضِ، بل وقبل اكتشاف الكائنات الأخرى التي تُشاركها الخطورة بما تُسبّبهُ من أمراض، تحداهم القرآنُ بما يفوقها ضآلةً مثالاً على عنايةِ اللهِ وقدرتهِ وعلمهِ بأسرار كل المخلوقات، فقد ذكرَ اللهُ تعالى لنا البعوضةَ وما فوقها، وضربها لنا مثلاً، ليبين للناس أنَّ هذا المخلوق الصغير في حجمهِ، عظيمٌ في خلقهِ، وأنَّ هذا المخلوق الضعيف العجيب، الذي طالما نظرَ الإنسانُ اليهِ على أنه مخلوقٌ تافهٌ، فهو من أصغر ما يُشاهدهُ بعينهِ المجردة وفي

حياتهِ اليوميةِ، ولكنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى ذكرهُ في كتابهِ العزيز وضربهُ لنا مثلاً. وهذا البحث الذي بينَ أيديكم، يتحدث عن الإعجاز القرآني ومعجزة البعوضة وما فوقها في القرآن الكريم، هذه الحشرة التي ضربها الله تعالى مثلاً في كتابهِ الكريم الذي لا يأتيهِ الباطل مِن بين يديهِ ولا من خلفهِ، ثم ما اكتشفه العلماءُ وما أكّدوه من حقائقٍ علميةٍ عن البعوضةِ.

نسأل اللهَ تعالى أنْ نُوفَقَ في ذلك، وأنْ يكتبَ لي ولكل مَن قرأهُ وأعانَ على طبعهِ ونشرهِ أجرَ التفكّرِ والتدبّرِ في مخلوقاتِ اللهِ تعالى و بديعِ صُنعهِ، وأن ينفعنا بما علّمنا، ويُعلّمنا ما ينفعنا، وأن يعفوَ عنا فيما قصرنا، ويغفرَ لنا ما أخطأنا فيه في اجتهادنا، ويُثيبنا على ما أصبنا فيه، وأنْ يمدنا بالعونِ والتوفيقِ، ويُعلِمّنا ما جهلنا، وأنْ يُوفقنا جميعاً لما فيهِ الهدى والرشاد والصواب والسداد، وأن يجعلنا هُداةً مُهتدين صالحين مُصلحين، وينفعَ بنا عباده أجمعين، وأن يكونَ عَملُنا هذا خالصاً لوجههِ الكريم، ويجعلهُ في ميزانِ حسناتنا، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشيخ عبد الله جبر عليوي جبر الخطيب

abdallahjber@yahoo.com

١٤٣٨ هجرية – ٢٠١٧ ميلادية

كَلِمَةٌ لابد منها:

قبل البدء... أودُّ أن أنبّه إلى بعضِ الأمورِ التي قد يغفل عنها بعضُ المهتمين بصوّرِ الإعجازِ العلمي وعلاقتها بالقرآنِ الكريم، فأقول ومن اللهِ العون والتوفيق:

أولاً: إنَّ القرآنَ الكريم كتاب الله، أنزلهُ كمنهاجٍ لنا وسبيل لمعرفة الله وأحكامه ومعرفة الطريق إلى جنته، ولم يكن القرآن كتاب بحوثٍ وعُلومٍ، فلا يصلح أن نجعلَ القرآنَ كتاب علومٍ تطبيقيةٍ أو تجريبيةٍ، فإن وجدنا فيه ما يُطابِق الاكتشاف فالحمد لله، وإن لم نجد فلا حاجة للمبالغة وتحميل كلام الله ما لا يُحتمَل، لأنني مررتُ على بحوثٍ فيها مبالغة وتعقيد وأمور لا تدخل العقل، ثم يُقال هذا إعجازٌ عِلميٌ !!

ثانياً: أنَّهُ يجب التنبّه قبل مطابقة أي مُكتشَف مع ما وردَ في القرآن ، ويجب أن نكون أقوى وأعقل مِن أن نُخدعَ بكل ما يُقال، كما حدَثَ في بعض الأمور التي قيل أنها إعجاز، وتُطابق ما قاله الله تعالى في القرآن وبعد سنوات أُثبِتَ أنَّ ذلك الاكتشاف خاطئ، فأصبحَ المسلمون في حرَجٍ، كُون بعض العلماء طابقوا الاكتشاف القديم بكلام الله، ثم نُفي ذلك الاكتشاف، ونحن نعلم أنَّ

كتابَ اللهِ وكلامه حَق، كما قال تعالى: ((لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) [فُصِّلت:٤٢].[١]

إنَّ التفسير العلمي للقرآن الكريم مرفوضٌ إذا اعتمدَ على النظريات العلمية التي لم تثبت ولم تستقر ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية، ومرفوضٌ إذا خرج بالقرآن عن لغتهِ العربية، ومرفوضٌ إذا صدر عن خلفيةٍ تعتمد العلم أصلاً وتجعل القرآن تابعاً، وهو مرفوضٌ إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضعٍ آخر أو دل عليه صحيح السنة، وهو مقبولٌ بعد ذلك إذا التزم القواعد المعروفة في أصول التفسير من الالتزام بما تفرضه حدود اللغة، وحدود الشريعة والتحري والاحتياط الذي يلزم كل ناظر في كتاب الله، وهو –أخيراً– مقبولٌ ممن رزقه اللهُ تعالى علماً بالقرآن وعلماً بالسنن الكونية، لا من كل من هب ودب فكتاب الله أعظم من ذلك.[٢]

مفهوم الإعجاز العلمي:

لقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا للدلالة على أوجه إعجاز القرآن والسنة التي كشفت عنها العلوم الكونية.

---

[١] الحشرات في القرآن الكريم والسنة النبوية -بحث تخرج-موقع شبكة مشكاة الإسلامية.

[٢] مقدمة حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية -من مقال للكاتب صفاء علي عباس محمد-موقع الألوكة.

والإعجاز لُغةً: مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة، وهو مصدر أعجز بمعنى الفوت والسبق.[١] وإعجاز: - من أعجزَ، يُعجِز، إعجازًا، فهو مُعْجِز، والمفعول مُعْجَز، مصدر أعجزَ-ومعناه: ارتفاع عن مدى قدرة البشر. وإعجاز الشيء أي عدم القدرة على إدراكه. وإعجاز القرآن: عدم القدرة على محاكاته وامتناع الإتيان بمثله، وضعف المخلوقات عن أن يأتوا بمثله، وتأديته المعاني بأبلغ الطرق وهذا ما يعجز عنه الناس.[٢] والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدي، سالمٌ من المعارضة.[٣] وإعجاز القرآن: يُقصد به إعجاز القرآن للناس أن يأتوا بمثله، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله. ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم. والعلم: هو إدراك الأشياء على حقائقها أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً[٤]. وعرف الزنداني الاعجاز فقال:

---

[١] لسان العرب لابن منظور مادة عجز ٣٧٠/٥-والمفردات للراغب الأصفهاني.

[٢] ينظر في المعجم الأوسط للطبراني، ومعجم المعاني الجامع، ومعجم اللغة العربية المعاصرة -د. أحمد مختار عبد الحميد عمر ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية -د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم.

[٣] تفسير القرطبي ٩٦/١-وفتح الباري ٥٨١/٦.

[٤] لسان العرب، لابن منظر (مادة عجز) ٣٧٠/٥. والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٤٣. وإرشاد الفحول للشوكاني ص٤.

(انه اظهار صدق الرسل – عليهم الصلاة والسلام – بإظهار أمور على أيديهم يعجز البشر عن معارضتها)[١]. والمقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي. اذن فهو إخبار القرآن الكريم بحقيقةٍ أثبتها العلمُ التجريبي أخيراً وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. أو هو إبراز الحقائق القرآنية التي أشارت إلى الحقائق الكونية المتعلقة بالآفاق والأنفس، والتي جاء العلم الحديث موافقاً لها[٢].اذن فالإعجاز العلمي محاولة لفهم الاشارات العلمية في القران الكريم واعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمره للجهد البشري في البحث والنظر، وانما في حثه على التفكير، فهو يحث الانسان على النظر في الكون وتدبره، ولا يشل حركة العقل في تفكيره، او يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع الى ذلك سبيلا. وليس ثمة كتاب من كتب الأديان السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القران.[٣]

ضوابط الإعجاز العلمي:

---

[١] مجلة المسلمون -السنة الاولى -عدد: ٤٠ تاريخ ٢٦ صفر ١٤٠٦ الموافق ٩ /١١-١٩٨٥.

[٢] التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي -٢/ ١٨٠.

[٣] مباحث في علوم القران، مناع القطان: ص ٢٤٧.

الإعجاز العلمي هو ذلك العلم الذي يبحث في معجزات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي لم تظهر إلا حديثاً في عصر العلم. فالله تبارك وتعالى أنزل القرآن ليكون كتاباً صالحاً لكل زمان ومكان، وأودع فيه من الحقائق العلمية ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

فالقرآن يتميز بأسلوبه الرائع والمختصر في عرض الحقيقة العلمية، وفي كلمات قليلة نجد حقائق علمية غزيرة، وهنا يكمن الإعجاز. وهذه الحقائق والتي تتجلى في عصرنا هذا لم تكن معروفة لأحدٍ زمن نزول القرآن ولكن اكتشافات العلماء أظهرت هذه المعجزات، ولابد أن يكون هناك ضوابط لهذا العلم لنبقى بعيدين عن الأخطاء كما يحدث في بعض المقالات التي نجد أصحابها يبالغون فيها ويبتعدون كثيراً عن معنى الآية.

ومن أهم هذه الضوابط أو الأسس:

١-يجب أن نعلم ونستيقن لدى البحث في إعجاز القرآن من الناحية العلمية أنَّ العلمَ تابعٌ للقرآن، وليس العكس. فالباحث في الإعجاز العلمي ينبغي عليه أن يعطي ثقته لكتاب الله أولاً، ثم يبحث في كتب ومؤلفات وتجارب البشر عن حقائق علمية تتوافق مع الحقائق القرآنية.

٢-ينبغي أن نُدرِكَ بأنَّ تفسير ودلالات آيات الإعجاز العلمي تتطور مع تقدم العلوم دون أن تتناقض مع العلم، وهذه معجزة بحدّ ذاتها أنَّكَ تجد الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن مفهومة وواضحة لكل عصر من العصور، بينما مؤلفات البشر تصلح لعصرها فقط، وهذا يدفعنا لمزيد من البحث عن دلالات جديدة لآيات القرآن العظيم.

٣-بما أنَّ اللهَ تعالى قد أنزل القرآن باللغة العربية فيجب علينا ألا نخرج خارج معاني الكلمة في قواميس اللغة، وإذا لم نستطع التوفيق بين الآية القرآنية وبين الحقيقة العلمية، فنتوقف عن التدبر، حتى يُسخّر اللهُ لهذه الآية من يتدبرها ويقدم لنا التفسير الصحيح والمطابق للعلم اليقيني.[١]

فينبغي حسن فهم النص القرآني الكريم وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعد تلك اللغة وأساليب التعبير فيها، وذلك لأنَّ القران الكريم قد أُنزل بلسانٍ عربيٍ مبينٍ، على أنْ لا يخرج باللفظ من الحقيقة الى المجاز إلا

[١] عبد الدائم الكحيل -من بحث منشور على موقعه.

بقرينة كافية، وعند الضرورة القصوى، ومن هنا فلا يمكن اثبات الاعجاز العلمي بتأويل النص القرآني.[١]

وهذا يدعونا إلى الحذر وعدم التسرع وألا نقول في كتاب الله برأينا، بل يجب أن نستند إلى التفسير واللغة والدعاء بإخلاص، لأنَّ كشف معجزات القرآن هو عطاء من الله تعالى. ويجب أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجه الله لا نبتغي به شيئاً من عرض الدنيا.

٤-أن تكون الحقيقة العلمية غير معروفة زمن نزول القرآن من قبل البشر. وأنَّ القرآنَ قد سبق العلماء إلى الحديث عن هذه الحقيقة. وهنا تكون المعجزة أقوى، ولكن لا يمنع أن نجد بعض الحقائق العلمية المذكورة في القرآن والتي كان الناس يدركون شيئاً منها قديماً، مثل فوائد العسل، فهذا الأمر معروف منذ آلاف السنين، فجاء القرآن وأكَّده وهذا نوع من أنواع الإعجاز، إذ أنَّ البشر في ذلك الزمن لم يكونوا قادرين على تحديد الصواب من الخطأ، والتمييز بين الأسطورة والحقيقة. ولكن القرآن تحدث فقط عن الحقائق الصحيحة، ولو كان القرآن

[١] مفهوم الإعجاز العلمي وضوابط البحث فيه -من بحث للكاتب سعد الحلبوسي – موقع ملتقى أهل التفسير.

كلام بشر لامتزج فيه الحق بالباطل، واختلطت الأساطير بالحقائق.

٥-بالنسبة للإعجاز العلمي في السنة النبوية، فيجب أن يكون الحديث الشريف صحيحاً، أو بمرتبة الحسن، ولا يمكن الاعتماد على الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة.

٦-يجب أن يعلم من يبحث في إعجاز القرآن أنَّ خيرَ من يُفسر القرآن هو القرآن نفسه، ثم يأتي بعد ذلك أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم اجتهادات الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، ثم من تبعهم من العلماء والأئمة الثقات رحمهم الله ورضي عنهم جميعاً.

٧-كما ينبغي الإحاطة بدلالات الآية ومعانيها المتعددة وألا نخرج خارج قواعد اللغة العربية ولا نضع تأويلات غير منطقية بهدف التوفيق بين العلم والقرآن، بل يجب أن نعلم بأنَّ المعجزة القرآنية تتميز بالوضوح والتفصيل التام، ولا تحتاج لالتفافات من أجل كشفها. يقول تعالى: ((الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)) [هود: ١].

٨-ينبغي أن نعلم بأنَّ المعجزة العلمية هي هدف وليست غاية لحد ذاتها، فهي هدف للتقرب من الله تعالى وزيادة اليقين به وبلقائه.[١]

وضوابط أخرى ذكرها بعض العلماء مثل:

١- فهم اسباب النزول والناسخ والمنسوخ –إن وجد–.

٢- فهم الفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل من آيات هذا الكتاب الحكيم.

٣- فهم المأثور من تفسير المصطفى صلى الله عليه وسلم، والرجوع الى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم الى الزمن الحاضر.

٤- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية الكريمة إن وجدت.

٥- جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع القرآني الواحد ورد بعضها الى بعض، بمعنى فهم دلالة كل منها في ضوء الآخر، لأنَّ القران الكريم يُفسر بعضه بعضاً، كما يُفسر الصحيح من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان من الواجب توظيف

[١] عبد الدائم الكحيل -من بحث منشور على موقعه -بتصرف.

الصحيح من الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع الآية المتعامل معها كلما توافر ذلك.

٦- مراعاة السياق القرآني للآية المتعلقة بإحدى القضايا الكونية دون اجتزاء للنص عما قبله وعما بعده، مع التسليم بأنَّ من طبيعة القرآن الكريم إيراد العديد من الحقائق المتتابعة والتي قد لا تكون بالضرورة مرتبطة ببعضها البعض، كما هو الحال في آيات القسم المتعددة بأكثر من أمر من الأمور.

٧- مراعاة قاعدة: إنَّ العبرة هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والاقتصار على القضية الواحدة في المقام الواحد، دون تكديسٍ للآياتِ المُستشهد بها حتى يتضح جانب الاعجاز العلمي في كل منها.

٨- عدم التكلف ومحاولة لَي أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية، وذلك لانَّ القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك، لأنَّهُ كلام الله الخالق، وعلم الخالق بخلقة هو الحق المطلق، الكامل الشامل، المحيط بكل علم آخر، وهو العلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٩- الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للآية أو الآيات القرآنية الكريمة من مثل المعادلات الرياضية المعقدة، والرموز الكيميائية الدقيقة إلا في أضيق الحدود اللازمة لأثبات وجه الإعجاز.

١٠-عدم الخوض في القضايا الغيبية المطلقة كالذات الإلهية، والروح، والملائكة، والجن، وحياة البرزخ، والقبر، وقيام الساعة، والبعث، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار وغيرها، والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليماً كاملاً انطلاقاً من الإيمان بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ويقيناً راسخاً بعجز الإنسان عن الوصول إلى مثل هذه الغيبيات المطلقة.

١١-التأكيد على أنَّ الآخرة لها من السنن والقوانين ما يُغاير سنن الدنيا مغايرة كاملة، وإنها لا تحتاج هذه السنن الدنيوية الرتيبة.

١٢-عدم التقليل من جهود العلماء السابقين في محاولاتهم المخلصة لفهم دلالة تلك الآيات الكونية في حدود المعلومات التي كانت متاحة لهم في زمانهم،

وذلك لانَّ الآية الكونية الواردة في كتاب الله تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد حتى يبقى القرآن الكريم مهيمناً على المعارف الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وهذا من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.[1]

بعض الحقائق المكتشفة عن البعوضة:

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: إنَّ في رأسِ البعوضة مئةَ عينٍ، ولو كُبِّر رأسُ البعوضةِ بالمِجْهَرِ الإلكترونيّ لرأينا عيونَها المئةَ على شكلِ خليةِ النحلِ، وفي فمها ثمان وأربعون سنّاً، وفي صدرِ البعوضة ثلاثةُ قلوبٍ، قلبٌ مركزيٌّ، وقلبٌ لكلِّ جناحٍ، وفي كل قلبٍ أُذينان وبُطينان ودسّامان ، وهي تملك جهازاً لا تملكُه الطائراتُ الحديثةُ، إنه جهازُ (رادار)، أو مستقبلاتٌ حراريةٌ، بمعنى أن البعوضةَ لا ترى الأشياءَ بأشكالِها وألوانِها، بل بحرارتِها، فلو أنَّ بعوضةً وُجِدَتْ في غرفةٍ مظلمةٍ فإنّها ترى فيها الإنسانَ النائمَ، لأنَّ حرارتَه

[1] مفهوم الإعجاز العلمي وضوابط البحث فيه -من بحث للكاتب سعد الحلبوسي – موقع ملتقى أهل التفسير.

تزيدُ على درجة حرارة أثاث الغرفة، وحساسيةُ هذا الجهاز واحد من الألفِ من درجة الحرارةِ المئويةِ.

والبعوضةُ تملك جهازاً لتحليل الدمِ، فليس كلُّ دمٍ يُناسبها، فقد ينامُ طفلانِ على سريرٍ واحدٍ، وفي الصباحِ تجد جبينَ أحدِهما مليئاً بلسعاتِ البعوضِ، أمّا الثاني فلا تجد أثراً للسعِ البعوض فيه. والبعوضةُ تملكُ جهازاً للتخديرِ، فلو غرستْ خرطومَها في جلد النائم لقتَلَها، ولكنها تخدِّرُ موضعَ لسْعِها، وحينما يزولُ أثرُ المخدِّرِ يشعرُ النائمُ بألمِ اللسعِ، في حين أنّ البعوضةَ تطيرُ في جوِّ الغرفةِ. وتملك البعوضةُ جهازاً لتمييع الدمِ الذي تمتصُّه من الإنسانِ، حتى يتيسَّرَ له المرورُ عبْرَ خرطومِها الدقيقِ.

وللبعوضةِ خرطومٌ فيه ستُّ سكاكين، أربعُ سكاكينَ تُحدِثُ في جلدِ الملدوغ جرحاً مربَّعاً، ولا بد مِن أن يصلَ الجرحُ إلى وعاءٍ دمويٍّ، والسكِّينتانِ الخامسةُ والسادسةُ تلتقيان لتكوّنا أنبوباً لامتصاصِ دمِ الملدوغِ. ويرِفُّ جناحَا البعوضةِ عدداً كبيراً من المرَّاتِ في الثانيةِ الواحدة، حيث يصلُ هذا الرفيفُ إلى درجةِ الطنينِ.

وفي أرجُلِ البعوضةِ مخالبُ إذَا أرادتْ أنْ تقفَ على سطحٍ خشنٍ، ولها محاجمُ إذا أرادتْ أن تقفَ على سطحٍ أمْلسَ.[1]

إنَّ المُتأملَ في تصميمِ البعوضة البالغ التعقيد والإتقان يُدرك مدى عظمة ذكر الله تعالى للبعوضة في كتابه ومن دون أي استحياء، ويُدرك أيضاً سبب اختيار البعوضة بالذات للرد على افتراءات أهل الضلال، وهو يشعر قبل كل شيء بعظمة الخالق التي تتجلى في هذا المخلوق. ولكن هل يتوقف اعجاز هذه الآية القرآنية عند هذه الحدود ...؟

الإجابة: لا، فاستخدام الضمير المؤنث في كلمة (فوقها) بحد ذاته إعجاز، وذلك لأنَّ الحقيقة الراسخة هي أنَّ إناث البعوض هي فقط التي تمتص الدماء، وهي لا تمتصه لكي تتغذى عليه فغذاء البعوض عامة هو خلاصة رحيق الأزهار، ولكنها تمتصه لأنَّ البويضات التي تحملها أنثى البعوض بحاجة الى بروتين لتكبر، وهكذا يعدل القرآن باللفظ إلى صيغة تتفق مع الواقع قبل أن يكتشفها الزمان وتعاينها الأجيال. ولكن ماذا عن دلالة كلمة (فوقها) ...؟

[1] الإعجاز العلمي في البعوضة –الدكتور محمد راتب النابلسي.

كان الأئمة المفسرين –رحمهم الله جميعاً– يعتبرون أنَّ لهذه الكلمة معنيان: إما أن تعني كلمة (فوق) الزيادة في الحجم، أي أنَّ الله تعالى يضرب المثل بالبعوضة وبما هو أكبر منها حجماً، وإما أن تعني الزيادة في الوصف، أي أنَّ الله تعالى يضرب المثل بالبعوضة وبما هو أحقر وأدنى منها، ولكن حديثاً وبعد اختراع المجاهر الإلكترونية، يتضح بأنَّ هذه الكلمة عبارة عن ظرف مكان، و ذلك بعد اكتشاف الطفيليات والكائنات الحية الدقيقة التي تعيش على ظهرها، فيصبح معنى الآية الكريمة -والله تعالى أعلم- أنَّ الله تعالى يضرب المثل بالبعوضة وبما يعيش فوقها من كائنات لا نُبصرها بعيننا المجردة.. وإنَّ في الإشارة إلى وجود هذه الكائنات الحية إعجازٌ، فمن كان يتخيل وجود مثل هذه الكائنات الحية في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف يجرؤ أحدٌ على ذلك وهي لا تُرى الاّ بالمجهر الإلكتروني!

ولكن هل يمكن اعتبار هذا جانب من أسباب اختيار الله تعالى للبعوضة بالذات لضرب المثل بها؟

قد يقول قائل: إنَّ وجود هذه الكائنات الحية الدقيقة على ظهر البعوضة ليس أمراً مميزاً لها، فهناك الكثير من الكائنات التي تشترك في هذا، ولكن في الحقيقة أنَّ البعوضة

لا تحمل فقط البكتيريا والفيروسات كباقي الكائنات، فهي تحمل الطفيليات التي هي أرقى رتبةً من البكتيريا والفيروسات، وتُعد أعقد منها بكثير، حيث يعد البعوض من أشهر الكائنات التي تنقل هذه الطفيليات التي تُصيب الإنسان والحيوان، والتي هي وراء العديد من الأوبئة التي فتكت بالملايين على مر التاريخ. ومن أشهر الطفيليات التي تنقلها البعوضة: طفيل الملاريا الاسم العلمي: (Plasmodium)، وطفيل الفلاريا الذي يسبب داء الفيل الاسم العلمي(Elephantiasis)، ومن أشهر الفيروسات التي ينقلها البعوض تلك المسؤولة عن مرض الحمى الصفراء (Fever Yellow)، ومرض الحمى المخية (Encephalitis)، ومرض أبو الركب أو حمى الدنج (Fever Dengue)، ومرض الحمى النازفة (Fever Hemorrhagic)، وكذلك حمى الوادي المتصدع (rift valley fever). إنَّ المعرفة بوجود هذه الكائنات الحية على ظهر البعوضة ودور البعوضة في نقلها يستحيل أن يُدركها أحدٌ قبل اختراع المجهر، فلم يُعرف دور البعوضة في نقل طفيل الملاريا مثلاً إلا قبيل بداية القرن العشرين بقليل ، فقد تمكن (الفونس لافيران) من معرفة الطفيل المُسبب للملاريا

عام١٨٨٠، وفي عام١٨٩٧اكتشف (سير رونالدز روز) انتقال الطفيل عن طريق البعوضة، وفي عام ١٨٩٨ تمكن فريق إيطالي من الباحثين من تأكيد دور البعوضة في نقل المرض، ومما يدل على أنَّ دور البعوضة في نقل الطفيليات كان مجهولاً تماماً أنَّ كلمة (ملاريا) إيطالية الأصل وتعني الهواء الفاسد، و قد أُطلق هذا المصطلح على المرض نتيجة للاعتقاد الخاطئ بأنَّ المرض ينتقل للإنسان عن طريق الهواء الفاسد قبل أن يُعرف دور البعوضة في نقل الطفيليات المجهرية التي تسببه. وقبيل بداية القرن العشرين كانت هناك عدة فرضيات تحاول تفسير سبب وباء الحمى الصفراء، وفي عام ١٨٨١ افترض (كارلوس فينلاي) أنَّ الناقل هو البعوض، وهو ما أكده (ميجور والتر) عام ١٩٠٠ وأثبته (ويليام جورجاس) في أول القرن العشرين، وبالتخلص من البعوض أثناء شق قناة بنما تراجع المرض كثيراً، وفي نفس الفترة اكتشف (باتريك مانسون) طفيل الفلاريا الذي يسبب داء الفيل وأكد على أنَّ الناقل له هو البعوض كما نقل طفيل الملاريا[1].

[1] منتديات حراس العقيدة – من مقال للكاتب خالد بشير.

التركيب الداخلي لجسم البعوضة:

إنَّ كثيراً من الناس في هذه الأيام لا يهتم بصغائر الأمور ويهتم بالأمور العظيمة التي تقع بين عينيه مع أنَّ في الصغائر آياتٌ وعِبرٌ لأُولي الألباب، ولعل من آياتِ الله العظيمة التي ينكرها أو يجهلها كثيرٌ من الناس تِلكُم الحشرة الصغيرة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وهى البعوضة . قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ)) [البقرة: ٢٤].

وهذه الحشرة الصغيرة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، قد أثبت العلم الحديث أنَّ لها أمعاءٌ وجهازٌ تنفسي ومخٌ وأعصابٌ ... إلخ[١].

الغدد اللعابية:

يوجد زوجٌ من الغدد اللعابية في البعوضة في منطقة الصدر وتتكون كل غدة من ثلاث فصوص ولكل فص قناة محورية تتفرع من قناة رئيسية هي القناة اللعابية. وتتحد القناتان اللعابيتان للغدتين مكونة القناة اللعابية المشتركة

[١] البعوضة المعجزة الإلهية -يحيى بن موسى الزهراني -موقع صيد الفوائد.

التي تمتد داخل الرأس وتفتح في كبسولة صغيرة تعرف بمضخة اللعاب ومنها يسير اللعاب في قناة اللعاب التي تخترق اللسان وتُفتح في طرفة عين، وتلعب الغدة اللعابية دوراً هاماً في نقل الملاريا حيث تختزن الأطوار التي تعيد العدوى للإنسان "الاسبروزويت" والتي تتدفق من اللعاب إلى الجرح الذي تحدثه الحشرة.

الجهاز الهضمي:

يتكون الجهاز الهضمي في البعوضة من تجويفٍ فمويٍ قصيرٍ، يليه بلعوم قوي يعمل كمضخة لسحب الدم خلال تجويف الشفة العليا، وتخترق الرقبة أنبوبةٌ قصيرةٌ هي المريء ويصل بنهاية المريء ثلاثة أكياس يوجد اثنان منها في الناحية الظهرية وهما مستديران تقريباً، أما الثالث فيمتد في الناحية البطنية وإلى الخلف وقد يصل إلى حلقة البطن الثالثة أو الرابعة. ويصل المريء بالمعدة أنبوبة عضلية قصيرة تعرف بالقونصة أو المعدة الأولى وتمتد المعدة من الصدر حتى الحلقة البطنية الخاصة ولها قدرة كبيرة على التمدد خصوصاً في نصفها الخلفي. فالبعوضة البالغة قد تأخذ (٢-٣) ملم في وجبة واحـده فائدتها استخلاص المواد الازوتية التالفة والتخلص منها بطردها عن طريق المعي الخلفية إلى

الخارج وتتكون المعي الخلفية من أنبوبة قصيرة ضيقة لا تلبث أن تتسع مكوّنة المستقيم الذي يفتح للخارج بواسطة فتحة الإست.

الجهاز الدوري "الدورة الدموية":

الجهاز الدوري في البعوضة هو جهاز مفتوح حيث يدور الدم خلال التجويف الجسمي وفيه يتم امتصاص الغذاء المهضوم من القناة الهضمية وبواسطته يتم نقل المواد المهضومة لكل أجزاء الجسم. ويقع القلب ملاصقاً لجدار البطن العلوي وهو مُكوّن من عدة غرف طويلة وضيقة يدخل إليها الدم عن طريق فتحات جانبية في كل غرفة من غرف القلب ويسير الدمُ في اتجاهٍ واحدٍ في غرف القلب وهو ناحية الرأس، ويتصل بالقلب من الأمام وعاءٌ دمويٌ يُعرف بالأورطي يُغير تجويف الجسم. والدم خال من الكرات الدموية الحمراء فلا علاقة له بعملية التنفس ولكنة ينقل فقط المواد الغذائية من القناة الهضمية إلى الأنسجة الأخرى.

الجهاز التنفسي:

يتكون الجهاز التنفسي في البعوضة كما في جميع الحشرات من أنابيب ضيقة تُسمى بالقصبات لها فتحات

خارجية على جانبي حلقات الصدر والبطن. وتمتد القصباتُ داخل جسم الحشرات وتتفرع وتتشابك بشكل خاص وتتعمق إلى أن تتصل بخلايا الجسم وتسمى الأفرع الصغيرة بالقصبات، والقصبات مبطنة من الداخل بحلقات أو حلزونيات كينتينية. أما القصبات فهي غير مبطنة بتلك الحلقات أو الحلزونات وتبدأ القصبات الهوائية من فتحاتٍ في جدار البدن لدخول وخروج الهواء وتُعرف بالفوهات التنفسية وتُوجد اثنان من الفوهات التنفسية على جانبي الصدر وسبعة على جانبي البطن في الحلقات البطنية من (١-٧).

الجهاز العصبي:

يتكون الجهاز العصبي في البعوضة من حبلٍ عصبيٍ مُكوّنٍ من عُقدٍ متصلةٍ بعضها ببعض بواسطة أليافٍ عصبيةٍ ويوجد منها في الرأس زوجين يُسمَيان أحياناً بالمخ. والزوج الأمامي يوجد فوق البلعوم والزوج الخلفي أسفله. ويوجد في الصدر ثلاثة أزواج من العُقد العصبيةِ متحدة مع بعضها وهي تُوجد ملاصقة لجدار الصدر من الجهة البطنية، وفي البطن من الجهة السفلية يُوجد خمس أزواج من العقدِ العصبيةِ للأقسام الصدرية الثلاثة.

الجهاز التناسلي:

يكون في مؤخرة بطن البعوضة في التجويف الدموي ويتركب في الأنثى من مبيضين لكل منها قناة قصيرة هي قناة المبيض وتتحد القناتان في الناحية البطنية لتكوّنا المهبل ويفتح المهبل للخارج بواسطة الفتحة التناسلية التي تقع خلف فتحة الشرج. ويصب في المهبل قبل نهايته قناة الحوصلة المنوية التي تستقبل وتختزن الحيوانات المنوية وقناة الغدد الإضافية التي تفرز مادة لزجة الكيرلكس فائدتها جمع البيض مع بعضة لتكوين قارب البيض. وأيضا يتم تخزين الحيوانات المنوية فيها "الحويصلة" حيث تستعملها الأنثى تدريجيا في تلقيح البويضات. أما في الذكر فيتكون الجهاز التناسلي من خصيتين كل منهما قناة منوية وتتحد القناتان لتكوّن القناة القاذفة التي تفتح للخارج في الفتحة التناسلية للذكر.[1]

فاعلية الإناث:

الإناث فقط هي التي تتغذى على الدم أما الذكور فتتغذى على الرحيق وعصارات النباتات ، وتأملوا قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً))، فقال

[1] موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة – مقال من بحث للكاتب فراس نور الحق.

سبحانه: ((بعوضة))، ولم يقل بعوضاً، لأنَّ البعوضةَ اسم الأنثى، فالأنثى لها فاعلية في نقل الأمراض،وتستعمل البعوضة تقنية تجلب الحيرة للعقول، فالنظام المعقد المستعمل كالتالي: عندما تقف البعوضة على الهدف أولاً تقوم بشم الدم ومعرفة هل هو مناسب لها أم لا، فإن لم تجده مناسباً تركته وذهبت تبحث عن غذاء آخر ،وبعد أن تتأكد أنَّ نوع الدم مناسب لها تقوم بالبحث عن مكان مناسب رقيق، فيه كمية دم غزيرة، كالأوردة الشعرية ثم تقوم بتحديد مكان معين بواسطة الشفاه الموجودة في الخرطوم. ثم تقوم ببخ المكان الذي سوف تقوم بشقه بمادة مخدرة أشبه ما تكون بالمخدر الموضعي، ومن المكان المنشق تُدخِل الإبرة إلى أن تصل إلى العرق وتقوم بعملية مص الدم .وكما هو معروف عن جسم الإنسان عندما يخرج الدم من مكان وخلال مدة قصيرة وبمساعدة الأنزيمات الموجودة في الجسم يتم تخثر الدم في تلك المنطقة. إذن هذا الأنزيم يسبب مشكلة كبيرة للبعوضة لأنَّ الثقب الذي أحدثته البعوضة في مدة قليلة سينغلق وهذا يعنى أنها لا تستطيع أن تمتص الدم، ولكن مثل هذه المشكلة لا تواجه البعوضة لأنها تقوم بصنع مادة في جسمها وتفرزها في جسم الإنسان في

تلك المنطقة وتمنع من تخثر الدم هناك، كذلك تقوم هذه المادة بإحداث تهيج في الجلد مما يسبب توارد الدم إليه، والبعوضة عندما تلسع الإنسان من مكان معين، هذا المكان ينتفخ ويشعر الإنسان بحكة، وسبب ذلك هو الأنزيم الذي قامت البعوضة بإفرازه لمنع التخثر.

إنَّ هذه الأعمال كلها تضعنا أمام أسئلة كثيرة منها:

١- كيف تعرف البعوضة بوجود هذا الأنزيم الذي يُخثر الدم؟!

٢- كيف تبطل البعوضة مفعول أنزيم التخثر بصنع هذا الأنزيم الخاص؟!

٣- كيف لها أن تعرف هذه المادة الكيميائية وكيف يحدث كل هذا؟!

٤- كيف حصلت على هذه المعلومات؟!

٥- كيف تستطيع هذه الحشرة أن تصنع مثل هذا الأنزيم داخل جسمها ثم تقوم بنقله بواسطة تقنيتها إلى جسم الإنسان؟!

والجواب على كل هذه الأسئلة:

هو أنَّ البعوضة لا تستطيع أن تفعل أي شيء لأنها لا تملك عقلاً مُدرِكاً ولا معلومات حول الكيمياء ولا مختبر

لتصنيع هذه الأنزيمات فالحشرة التي نتكلم عنها لا يزيد طولها عن بضع ملمترات وبدون عقل وبدون علم. فالذي خلق الإنسان وخلق هذه البعوضة، هذه الحشرة غير العادية الخارقة، وجعلها صاحبة هذا النظام الخارق الذي يُصيب الإنسان بالذهول، فسبحان الله الذي أودع كل هذه الأجهزة المعقدة في هذا المخلوق الصغير.[1]

البعوضة من أخطر الآفات:

إنَّ البعوضة من أخطر الآفات الحشرية وما زالت تهدد البشرية، وإذا لم يمكن التخلص منها –على الأقل حتى الآن– فهل يمكن محاولة تغييرها وراثياً بحيث تصبح حشرات غير ضارة بالإنسان أو الحيوان وتكف عن تناول وجبات الدم؟، أو يتوقف نقل الأمراض عن طريقها؟، أو إحداث تغييرات وراثية في المادة الجينية للكائنات الوبائية التي تنقلها بحيث يتوقف إحداثها للأمراض؟، تعكس مثل تلك التساؤلات الجريئة التي يطرحها المختصون العجز حالياً أمام إمكانات البعوضة، وتحمل في طياتها آفاقاً محتملة من التغير البيئي

[1] البعوضة المعجزة الإلهية -يحيى بن موسى الزهراني -موقع صيد الفوائد.

الذي قد يمتد ليشمل جميع الآفات على الكوكب والذي لا يعلم اليوم مداه أحد إلا الله سبحانه وتعالى وحده.

ولقد طالت هجمات البعوضة أكثر الدول تقنية، وعلى سبيل المثال قد انتشرت فجأة في عام ١٩٩٥ في نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية بعوضة عدوانية لسعاتها مؤلمة تهاجم بشراسة حتى في وضح النهار، ولأنَّ موطنها الأصلي هو آسيا. ولعدوانيتها الشديدة وتخطيط جسمها تُسمى بالنمر الآسيوي Asian Tiger، وهي من نوع الإيديس (Aedes) ، وقد ظهرت لأول مرة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٥، فقد بدأت انتشارها بعد الحرب العالمية الثانية في هاواي ومناطق المحيط الهادئ ولكنها أخيراً وجّهت زحفها نحو الولايات المتحدة الأمريكية، وتتكاثر تلك البعوضة سريعاً جداً لأنها لا تحتاج لكميات ماء كثيرة كي يفقس بيضها وتكفيها أية بقايا متجمعة في أواني مهملة كالإطارات القديمة للسيارات أو بقايا مياه الأمطار المتجمعة في فجوات الأشجار ولذا تصعب مقاومتها عملياً، وتستطيع أن تنقل فيروسات مرض أبو الركب والحمى المخية في الإنسان والحيوان. ومع خرق التوازن البيئي بتقلص مساحة الغابات والمناطق الزراعية وانطلاق أدخنة المصانع بكميات وفيرة من الغازات المؤثرة

مثل ثاني أوكسيد الكربون في الجو تزداد كمية حرارة الكوكب بنسبة ملحوظة نتيجة عدم قدرة الحرارة المنعكسة منه على الهروب، وهذا يسمى تأثير البيت الزجاجي لأنه يماثل ما يحدث في بيت الزجاج المستخدم لإنتاج نباتات تحتاج لحرارة أكثر، ويتوقع أن يزداد المعدل الوسطي لحرارة الكوكب حوالي (١-٣,٥) درجة مئوية بحلول عام ٢١٠٠م، ولذا يتوقع زيادة أعداد البعوض وارتفاع نسبة الأمراض التي يسببها إذا لم يمكن اتخاذ إجراءات وقائية حاسمة على مستوى الكوكب وتعاون الجنس البشري في مواجهته.[١]

الشواهد العلمية:

البعوضة: حشرة ضئيلة من ثنائيات الأجنحة Diptera Mosquito في الاصطلاح العلمي، لا يتغذى ذكرها على رحيق الأزهار فحسب ولا يتغذى على الدماء وليس له أي دور نهائياً في اللسعات المعهودة، ولكن الأنثى فمها مصمم على ثقب جلد الإنسان والحيوانات ذات الدماء الحارة لتتغذى عليها كذلك باعتبارها مصدر غني بالبروتين اللازم لإنتاج البيض، وتفرز الأنثى على الجرح سوائل من غدتها اللعابية تؤدي إلى

[١] من الإعجاز العلمي: البعوضة وما فوقها -من مقال للدكتور محمد بن إبراهيم دودح-باحث علمي في هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة -موقع الإسلام اليوم.

الاحتقان وتمنع تجلط الدم فتجعله ينساب بسهولة إلى فمها، وإذا كانت حاملة لكائنات دقيقة تُسبب الأمراض انتقلت إليها من لسعة سابقة لإنسان أو حيوان مصاب فمن الممكن أن تنقلها مع سوائل الغدة اللعابية وتنشر الأمراض في محيط واسع، ولذا ليست خطورتها في مجرد طنينها المزعج أو لسعاتها التي قد تكون مؤلمة ومسببة للحكة والاحتقان وإنما فيما تنقل من كائنات تسبب الأمراض الوبائية الخطيرة أو الفتاكة، ويمتد خطرها إلى عديد من الطيور والثدييات كذلك، ومن تلك الأمراض مرض دودة القلب Heartworm Disease الذي يُصيب الكلاب خاصة ونادراً ما يُصيب الإنسان وهو ناتج عن الإصابة بنوع من طفيليات الفلاريا.

وتتكون حشرة البعوض من رأس وصدر وبطن كما هي بقية الحشرات، ولها ثلاثة أزواج من الأرجل الطويلة النحيلة، ولها زوج من الأجنحة وعضوين بجوارهما في موضع زوج آخر ضامر من الأجنحة يستخدمان كأعضاء توازن، وتوجد قشور عديدة على أوردة الجناحين تزيد من قدرة الجناح على الطيران، وتبيض الحشرة الكاملة (١٠٠-٤٠٠) بيضة تفرز منها آليات التوازن البيئي أعداداً قليلة تستطيع إكمال دورة الحياة وبلوغ طور النضوج في مدة قد تبلغ (٧-

١٠) أيام في بعض الأنواع، ويمكنك توقع توالد البعوض في حدود أسبوعين من وضع البيض عندما يتوفر الماء لأنه ضروري لفقس البيض وحياة اليرقات والعذارى، ويمكن للبيضة الكُمُون لفترات طويلة في انتظار الماء، وقد تفقس البيضة بعد (١-٣) يوم من وضعها لتتحول إلى يرقة Larva تمكث بدورها (خمسة أيام-إلى عدة أسابيع) قبل أن تتحول إلى عذراء Pupa، واليرقات أو الدعاميص نشطة الحركة ولذا تُسمى بالهزازات Wigglers، وتأكل بشراهة وتتغذى على الطحالب والمواد العضوية في الماء، وهي من النهم والشراسة بحيث أنها قد تتغذى على يرقات أمثالها، وتتنفس اليرقات عن طريق أنبوب ناحية الذيل، ولا تتغذى العذراء وعند إثارتها تأتي بحركة لولبية ولذا تُسمى بالبهلوان أو الشقلباظ Tumblers، وتمكث (٢-٣) يوم قبل أن يخرج من غلافها الحشرة الكاملة وتتهيأ بعد مدة قليلة للتزاوج. وتبلغ أنواع الحشرات (٣-٤) مليون على الكوكب يوجد منها أكثر من (٢٠٠٠-٣٠٠٠) نوع من البعوض ينتشر في بيئات مناخية مختلفة ليبلغ كل منطقة يعمرها الإنسان ويمتد من المناطق الاستوائية حتى الدائرة القطبية ومن الأودية إلى رؤوس الجبال، والبعوض ثلاثة أنواع رئيسة مهمة وهي:

(أولاً) بعوض الأنوفيليس Anopheles:

ينقل طفيل الملاريا وفيروس الحمى المخية، وتقف الحشرة وجسمها مائل على السطح ورأسها للأسفل، وتضع الأنثى البيض فرادى على سطح الماء، وجسم اليرقات مغمور في الماء في وضع أفقي يوازي سطح الماء، وتتم دورة الحياة في حوالي ١٨ يوماً وقد تمتد إلى عدة أسابيع.

(ثانياً) بعوض الكيولكس Culex:

ينقل طفيل الفلاريا وفيروس الحمى الدماغية، وتقف الحشرة موازية للسطح، ويلتصق البيض في مجموعات كل منها قد يزيد عن ١٠٠ بيضة، وتميل اليرقات بزاوية على سطح الماء، وتتم دورة الحياة في (١٠-١٤) يوماً.

(ثالثاً) بعوض الإيديس Aedes:

ينقل فيروسات الحمى الصفراء وحمى أبو الركب والحمى الدماغية، وتقف الحشرة موازية للسطح وتميل اليرقات بزاوية على سطح الماء مثل الكيولكس، لكنه يتميز عنه بخصائص منها أن الحشرة عليها قشور فضية، ويستطيع البيض الصمود لفترات طويلة من الجفاف، وقد تتم دورة الحياة في عشرة أيام فقط وقد تطول إلى عدة أشهر إذا لم يتوفر ماء.

وتَوفر الماء ضروري لفقس البيض وحياة اليرقات والعذارى، والبرك والمستنقعات والمزارع المفتوحة من أنسب مواضع التكاثر، ويمكن لبعض الأنواع استخدام المياه المالحة أو الماء الجاري، ويكفي في بعضها القليل مثل بقايا مياه المطر المتجمعة في ثقوب الأشجار بل ربما رحيق زهرة إذا تعذر البديل، ويتكاثر البعوض عادة بالقرب من مصادر المياه، ولكن بعض الأنواع تنتقل لمسافات بعيدة عن مكان التوالد، ولذا لا تنجح كثيرا الوسائل الفردية للتخلص من البعوض ويحتاج الأمر لجهود كبيرة لتخفيض نسبة التكاثر، ويتفق التوزيع الجغرافي لأكثر المناطق إصابة بالأمراض التي يسببها البعوض مع التوزيع الجغرافي للمناطق الحارة، وفي فصل الشتاء قد تكون البعوضة كامنة في بعض الأنواع في انتظار فصل الربيع أو قد تكون في طور البيضة في انتظار توفر الماء، وبانتهاء مواسم تكاثر البعوض تقل نسبة الأمراض وتتلاشى نوبات الوباء، ومن وسائل الحماية الشخصية عند تفشي المرض استخدام المواد الصناعية الطاردة أو الطبيعية كمستخلصات نبات النيم لما فيها من مواد مؤثرة كالسالانين Salannin أو استخدام الشبكات الواقية (الناموسيات)، وللحد من تكرر النوبات في المناطق المعرضة ينبغي اتخاذ

احتياطات وقائية عديدة منها ردم البرك والمستنقعات أو تربية الأسماك التي تتغذى على أطوار البعوض في الماء مثل أسماك الجامبوزيا Gambosia وجابي Guppy . ويستخدم البعوض قرونه كأدوات للاستشعار، ومن الجائز أن تكون كذلك أعضاء للذوق والشم واستشعار الحركة، والشعيرات الأكثر كثافة التي تغطي قرني الاستشعار عند الذكر تزيد من كفاءته وقدرته على تمييز أنثى نوعه، وقد تجمع من الأدلة ما يكفي للقناعة بأنَّ قرون الاستشعار عند البعوض في غاية الحساسية والكفاءة كأدوات استقبال صوتي تماثل الآذان، خاصة مع اكتشاف انتفاخات عصبية في قواعد الشعيرات تجعلها تستجيب وتتحرك تجاه أصوات ترددها يماثل تردد طنين أجنحة الأنثى من نفس النوع، وعلى سبيل المثال تميز الذبذبة ٣٨٤ هرتز (دورة/ثانية) بعوض الحمى الصفراء، وتكون على أشدها عندما يكون قرن الاستشعار موجها نحو مصدر الصوت وبهذا يمكن للحشرة بكل بساطة ودقة تحديد اتجاه الصوت أو الحركة الخفيفة خاصة مع وجود قرنين، ويختلف معدل خفقات الأجنحة في الحشرات المختلفة، فيتدنى ليبلغ (٨) خفقات في الثانية في بعض الفراشات ويرتفع إلى ما يزيد عن (١٠٠٠) خفقة في الثانية في بعض

الحشرات، والبعوض من الحشرات السريعة الخفقان حيث يبلغ حوالي (٦٠٠) خفقة في الثانية، وخفقات أجنحة إناث البعوض هي التي تحدث الطنين المعهود، وقد أثبتت الأبحاث أنه يختلف من نوع لآخر فتستطيع الذكور بسهولة تمييز الإناث من نوعها وبذلك تتواصل الأجيال في النوع ذاته، ومعدل اهتزاز الجناح في الأنثى يقل قليلا عن الذكر، وإذا أمكن تمييز هذه الذبذبات في منطقة ما يمكن معرفة الأنواع المتواجدة، بل من الممكن كذلك اجتذاب الذكور للمصائد والتخلص منها عن طريق أحداث همهمات صناعية تماثل ذبذبات أجنحة الإناث من نفس النوع المتواجد، ومحاكاة الطبيعة كتقنية للتخلص من البعوض يمكن توجيهها كذلك لاجتذاب الإناث عن طريق أجهزة خاصة (مغناطيس البعوض) تطلق حرارة ومواد تماثل ما تطلقه الأجسام والتي منها ثاني أوكسيد الكربون وبخار الماء في هواء الزفير وحمض العرق Lactic acid وقد تستخدم المصابيح ليلاً، وإذا نجحت تلك المحاولات في مناطق انتشار السكان ستكون كذلك أسلم كثيرا من المبيدات الحشرية كمادة د.د.ت DDT خاصة أنها تقتل الطيور والحشرات المفيدة وتخرق التوازن البيئي ومع

الوقت تتولد ضدها مناعة عند البعوض فتصبح أقل قيمة في مقاومته[١].

كائنات ضئيلة تتحدى البشر:

قد تسبب لسعة البعوضة حكة موضعية نتيجة لاستدعاء الجسم لآليات التخلص من المواد التي تفرزها البعوضة أثناء الوخز، لكن خطرها الحقيقي يتمثل في نقل الكائنات الدقيقة المسببة للأمراض، فمن الممكن أن تنقل فيروسات قد تغزو الجهاز العصبي للإنسان وتسبب الالتهاب السحائي Meningitis أو المخي Encephalitis أو المخي الشوكي Encephalomyelitis، والعائل الوسيط عادة يكون حيواناً أو طائراً قد تغذت البعوضة من دمائه الملوثة قبل مهاجمة الضحية الجديدة، والحمى المخية مرض خطير ومن علاماته تصلب الرقبة وصعوبة تمايلها للخلف وظهور تشنجات وعدة أعراض عصبية أخرى وتصل نسبة الوفيات إلى حوالي (٧٠%)، وفي الحمى الصفراء يحطم الفيروس الخلايا الكبدية ويؤدي إلى صفراء تصاحب الحمى ومن هنا كان الاسم، وحمى الوادي المتصدع ينقلها البعوض ويسببها فيروس يُصيب المواشي وقد يؤدي إلى نفوقها ومن الممكن أن يُصيب

[١] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة – يوسف الحاج أحمد.

الإنسان، وتبدأ الأعراض بحمى وحساسية من الضوء وآلام عضلية ووهن شديد وربما نزيف وقد يؤدي للعمى إذا كتبت النجاة للمريض، والحمى المخية من مضاعفات المرض، ويمكن أن ينتقل للإنسان عن طريق التعامل مع اللحوم المصابة والمواد الإخراجية للحيوان المريض، وقد سجلت الحالات الأولى في كينيا في منطقة الوادي المتصدع ومن هنا كان الاسم، ولكن الحالات المرضية سجلت أيضا في شرق وجنوب أفريقيا وأخيرا عام (٢٠٠٠) في بلدان آسيوية كاليمن والمملكة العربية السعودية ومع ذلك بقي الاسم كمصطلح علمي على المرض، ومرض أبو الركب سببه فيروس ومن أعراضه حمى وطفح جلدي وألم شديد في المفاصل ولذا يسمى حمى تكسير العظام Break Bone Fever، ويتسبب في دخول حوالي (٠,٥) مليون سنوياً إلى المستشفيات ووقوع آلاف الوفيات، وقد ظهر شكلاً للمرض أكثر عنفا بعد الحرب العالمية الثانية في جنوب شرق آسيا سُمي حمى الركب النازفة أصاب الأطفال وأدى إلى وفيات عديدة، ويتميز بنزيف حاد من الفم والأنف وظمأ شديد وصعوبة في التنفس، وينتشر الآن في أمريكا الوسطى ويمتد شمالاً نحو الولايات المتحدة الأمريكية، وقد سجلت حالات مرضية في أكثر من

(١٠٠) دولة، ويظهر هذا المرض خاصة في أشهر الصيف والحر من كل عام نتيجة لتكاثر البعوض في الجو الحار صيفاً، ولا يتوفر لهذا المرض حتى الآن أي لقاح ولا يوجد له أي علاج ناجح. ومن الأمراض التي ينقلها البعوض مرض الفلاريا أو وداء الفيل، وداء الفيل عبارة عن تورم بعض مناطق الجسم خاصة القدمين والثديين نتيجة انسداد الأوعية الليمفاوية بطفيل الفلاريا.[١]

ومن الأمراض الفتاكة التي ينقلها البعوض مرض الملاريا، والملاريا مرض تسبّبه طفيليات من فصيلة المتصوّرات التي تنتقل بين البشر من خلال لسعات أجناس بعوض الأنوفيلة الحامل لها، التي تُسمى "نواقل الملاريا"، والتي تلسع الناس في الفترة بين الغسق والفجر.[٢]

وينتقل ذلك الطفيلي إلى جسم الإنسان عن طريق لسعات البعوض الحامل له، ثم يشرع في التكاثر في الكبد ويغزو الكريات الحمراء بعد ذلك. ويشعر المريض بقشعريرة وارتفاع في درجة الحرارة ثم تعرق تتبعه فترة راحة بين النوبات،

[١] من الإعجاز العلمي: البعوضة وما فوقها -من مقال للدكتور محمد بن إبراهيم دودح-باحث علمي في هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة -موقع الإسلام اليوم.

[٢] صحيفة وقائع-رقم ٢٩٤-نيسان/٢٠١٥ -تصدر عن مركز وسائل الإعلام بمنظمة الصحة العالمية.

وتستمر نوبة الملاريا في العام (٤-١٠) ساعات، وتبدأ بعد حوالي (٨-٢٥) يوماً من التعرض للبعوض، والطفيل من النوع فالسيبارمP. Falciparum يسبب الملاريا الخبيثة، وقد سُميت الحالة كذلك لكونها تؤدي إلى موت حوالي (٩٥%) من حالات الملاريا، وبعد تناقص عدد الإصابات نتيجة لاستخدام مستخرجات نباتية تماثل الكينين مثل الكلوروكين Chloroquine بدأت الشكوى مع نهاية القرن العشرين من قلة الفاعلية وزيادة عدد الإصابات من جديد نتيجة تنامي أنواع من الطفيل ذات مناعة مما يحتم استخدام بدائل جديدة، ومن الممكن أن تنتقل الملاريا عن طريق استخدام شخص سليم لنفس الإبرة الطبية التي استخدمها شخص مصاب بدون تعقيمها، مثلما يحدث في حالات إدمان المخدرات باستخدام الإبر وربما ينتقل المرض كذلك عن طريق نقل الدم، وطبقا لتصريحات منظمة الصحة العالمية ما زالت الملاريا تصيب حوالي (٤٠٠) مليون ضحية سنوياً على مستوى الكوكب وتقتل حوالي (٢) مليون شخص معظمهم من الأطفال ولا يوجد لقاح فعال ضدها حتى الآن.[١]

والسؤال: لماذا ينقل البعوض الملاريا ولا ينقل الإيدز؟

[١] من مقال للدكتور محمد بن إبراهيم دودح-موقع الإسلام اليوم.

فيروس نقص المناعة المكتسبة، الإيدز، يحتاج إلى عائل أو مضيف، مثل مجموعة خلايا الدم البيضاء أو الخلايا الليمفاوية التائية T Cell، التي تمثل مضيفاً مثالياً للفيروس داخل جسم الإنسان. وعندما يمتص البعوض دماء مريض الإيدز، فإن الدماء الملوثة بالفيروس لا يُكتب لها الحياة داخل أمعاء الحشرة، لعدم وجود تلك الخلايا المضيفة، فيموت الفيروس قبل أن تنقله البعوضة من مريض لآخر.

وعلى العكس، ففي حالة مثل طفيليات الملاريا، فإنها تنمو وتتكاثر داخل أمعاء البعوض دون الحاجة إلى عائل، ثم تنتقل إلى الغدد اللعابية للحشرة، لكي تنتقل مع لعابها بين البشر عند لسعهم، وبذلك يمكن للبعوض أن ينقل مرض الملاريا، بينما لا يستطيع نقل مرض الإيدز.[1]

أسباب نزول الآية الكريمة:

قيل إنَّ سببَ نزولِ هذه الآية الكريمة: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ...)) [البقرة: ٢٦] هو سماع اليهود في المدينة المنورة لآيتين من القرآن الكريم يضرب الله فيهما المثل للمشركين؛ مرةً بالعنكبوت في

[1] من مقال للكاتب أحمد عزمي -منشور على موقع دوت مصر.

قوله تعالى: ((مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)) [العنكبوت: ٤١]، ومرةً بالذباب في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)) [الحج: ٧٣].

حيث كان اليهود قد اتخذوا من ورود هذه الأمثال منفذاً للتشكيك في صدق الوحي بهذا القرآن، بحجة أنَّ الله لا يذكر مثل هذه الأشياء الخسيسة في كلامه، فجاءت هذه الآية دفعاً لهذا الدس وبياناً لحكمة الله في ضرب الأمثال، فالله سبحانه وتعالى رب الصغير ورب الكبير وخالق البعوضة وخالق الحوت، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الحوت، إنها معجزة الحياة. والعبرة في الخلق ليست بالحجم وبالشكل، فالبعوضة على صغر حجمها، فيها من إبداع الخالق جل جلاله ما يذهل الألباب.[١]

وفي سبب نزول هذه الآية، قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ: قوله تعالى: ((إِنَّ اللهَ لا يَستَحيي أَن يَضرِبَ مَثَلاً)) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما ضرب الله تعالى هذين

[١] منتديات حراس العقيدة – من مقال للكاتب خالد بشير.

المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى: ((مَثَلُهُم كَمَثَلِ الَّذي اِستَوقَدَ ناراً)) وقوله تعالى: ((أَو كَصَيِّبٍ مِنَ السَماءِ)) قالوا: الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله هذه الآية.

وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ((إِنَّ اللهَ لا يَستَحيي أَن يَضرِبَ مَثَلاً)) قال: وَذَلِكَ أن الله ذكر آلهة المشركين فقال تعالى: ((وَإِن يَسلِبهُمُ الذُبابُ شَيئاً)) وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد أي شيء يصنع بهذا؟ فأنزل الله تعالى الآية.[1]

وقال أحمدُ بنُ عَلِيِّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ في سبب نزول هذه الآية: قوله تعالى: ((إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً))، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما ضرب الله تعالى هذين المثلين للمنافقين -يعني قوله تعالى: ((مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً))، وقوله تعالى: ((أو كصيّبٍ من السماء)) قالوا الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله هذه الآية.

[1] أسباب النزول (٢١-٢٢) – للواحدي.

وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله؛ فأنزل الله هذه الآية. وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وذلك أنَّ الله ذكر آلهة المشركين فقال ((وإن يسلبهم الذباب شيئاً))، وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد أي شيء كان يصنع بهذا؛ فنزلت. وعن قتادة فيما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه ولفظه لما ذكر الذباب والعنكبوت في القرآن قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكر؟!. وأخرجه الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ "قال أهل الضلال". وأخرجها بن المنذر من هذا الوجه بلفظ "فقال أهل الكتاب" وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم عن السدي نحو قول ابن الكلبي زاد ابن أبي حاتم وعن الحسن نحو قول قتادة.

وعن الربيع بن أنس (إنَّ الآية نزلت من غير سبب وإنما هو مثل ضربه الله للدنيا وأهلها فإن البعوضة تحيا ما جاعت

فإذا امتلأت هلكت وكذلك حال أهل الدنيا إذا امتلأوا منها كان سببا لهلاكهم غالباً).[1]

وقالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ في سبب نزول هذه الآية: أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، يعني قوله: ((مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً)) وقوله: ((أو كصيبٍ من السماء)) قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله ((إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً)).

وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين، فقال ((وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً)) وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا أرأيتهم حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد؟، أي شيء كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذا الآية. عبد الغني واه جداً. وقال عبد الرزاق في تفسيره: أخبرنا معمر عن قتادة لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران، فأنزل الله هذه الآية. وأخرج ابن حاتم عن الحسن قال: لما

[1] العجاب في بيان الأسباب: ١/٢٤٥-٢٤٧ -للعسقلاني.

أنزلت ((يا أيها الناس ضُرّب مثل)) قال المشركون: ما هذا من الأمثال فيضرب، أو ما يشبه هذه الأمثال، فأنزل الله تعالى: ((إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً)) الآية.

والقول الأول أصح إسناداً وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ "قالت اليهود" وهو أنسب.[1]

والأرجح نسبة القول لأهل النفاق لأنَّ كتب أهل الكتاب ممتلئة بضرب الأمثال فيبعد أن ينكروا ما في كتبهم مثله، والله تعالى أعلم.[2]

أقوال بعض المفسرين للآية الكريمة:

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره: لقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)) [البقرة: ٢٦]، أنَّ قوله تعالى: (فما فوقها) فيه قولان:

أحدهما: فما دونها في الصغر والحقارة، كما إذا وصف لك رجل باللؤم والشح فيقول السامع نعم وهو فوق ذلك -يعني فيما وصفت-وهذا قول الكسائي وأبي عبيد قاله الرازي

---

[1] لباب النقول: ١٣-١٤ للسيوطي.

[2] العجاب في بيان الأسباب: ١/٢٤٥-٢٤٧-للعسقلاني.

وأكثر المحققين. وفي الحديث: (لو أنَّ الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء)[١].

والثاني: فما فوقها لما هو أكبر منها لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة وهذا قول قتادة بن دعامة واختيار ابن جرير فإنه يؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة)، فأخبر أنَّهُ لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة كما لا يستنكف عن خلقها كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها.[٢]

وجاء في تفسير الإمام الطبري رحمه الله: (إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يستحيي أن يضرب أقل الأمثال في الحق وأحقرها وأعلاها إلى غير نهاية في الارتفاع جوابا منه جل ذكره لمن أنكر من منافقي خلقه ما ضرب لهم من المثل بموقد النار والصيب من السماء على ما نعتهما به من نعتهما فإن قال لنا قائل: وأين ذكر نكير المنافقين الأمثال التي وصفت

[١] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وقال بعض العلماء عنه: إسناده: صحيح لغيره، بمجموع طرقه.

[٢] سورة البقرة / آية ٢٦ -تفسير ابن كثير رحمه الله.

الذي هذا الخبر جوابه، فنعلم أن القول في ذلك ما قلت؟ قيل : الدلالة على ذلك بينها جل ذكره في قوله: ((فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً)) وإن القوم الذين ضرب لهم الأمثال في الآيتين المقدمتين، اللتين مثل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما بموقد النار وبالصيب من السماء على ما وصف من ذلك قبل قوله: ((إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً)) قد أنكروا المثل وقالوا: ((ماذا أراد الله بهذا مثلاً))، فأوضح خطأ قيلهم ذلك، وقبح لهم ما نطقوا به وأخبرهم بحكمهم في قيلهم ما قالوا منه، وأنه ضلال وفسوق، وأنَّ الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه. وأما تأويل قوله: ((إنَّ الله لا يستحيي)) فإنَّ بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى: ((إنَّ الله لا يستحيي)) إنَّ الله لا يخشى أن يضرب مثلاً، ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله تعالى: ((وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه))، ويزعم أنَّ معنى ذلك: وتستحيي الناسَ والله أحق أن تستحيه؛ فيقول: الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستحياء وأما معنى قوله: ((أن يضرب مثلاً)) فهو أن يُبيّنَ ويصفَ، كما قال جل ثناؤه: ((ضرب لكم مثلاً من أنفسكم))، بمعنى وصف

لكم، وكما قال الكميت: وذلك ضرب أخماس أريدت لأسداس عسى أن لا تكونا بمعنى وصف أخماس. والمثل: الشبه، يقال: هذا مثل هذا ومثله، كما يقال: شبهه وشبهه،

ومنه قول كعب بن زهير: كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل يعني شبهاً. فمعنى قوله إذا: ((إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً)): إنَّ الله لا يخشى أن يصف شبهاً لما شبه به، وأما (ما) التي مع (مثل) فإنها بمعنى (الذي)، لأن معنى الكلام: إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب الذي هو بعوضة في الصغر والقلة فما فوقها مثلاً. فإن قال لنا قائل: فإن كان القول في ذلك كما قلت فما وجه نصب البعوضة، وقد علمت أن تأويل الكلام على ما تأولت: ((إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً)) الذي هو بعوضة، فالبعوضة على قولك في محل الرفع، فأنى أتاها النصب؟ قيل: أتاها النصب من وجهين: أحدهما أنَّ ما لما كانت في محل نصب بقوله: (يضرب) وكانت البعوضة لها صلة أعربت بتعريبها فألزمت إعرابها كما قال حسان بن ثابت: وكفى بنا فضلاً على من غيرنا حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم إيانا فعربت غير بإعراب (من)، فالعرب تفعل ذلك خاصة في

(من) و (ما) تعرب صلاتهما بإعرابهما لأنهما يكونان معرفة أحياناً ونكرةً أحياناً.

وأما الوجه الآخر، فأن يكون معنى الكلام: إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها، ثم حذف ذكر (بين) و (إلى)، إذ كان في نصب البعوضة ودخول الفاء في (ما) الثانية دلالة عليهما، كما قالت العرب: (مطرنا ما زبالة فالثعلبية) و (له عشرون ما ناقة فجملاً) وهي أحسن الناس ما قرنا فقدما يعنون: ما بين قرنها إلى قدمها، وكذلك يقولون في كل ما حسن فيه من الكلام دخول (ما بين كذا إلى كذا)، ينصبون الأول والثاني ليدل النصب فيهما على المحذوف من الكلام. فكذلك ذلك في قوله: ((ما بعوضة فما فوقها))، وقد زعم بعض أهل العربية أنَّ (ما) التي مع المثل صلة في الكلام بمعنى التطول، وأنَّ معنى الكلام: إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلاً فما فوقها. فعلى هذا التأويل يجب أن تكون بعوضة منصوبة ب (يضرب)، وأن تكون (ما) الثانية التي في (فما فوقها) معطوفة على البعوضة لا على (ما).

وأما تأويل قوله: ((فما فوقها)) فما هو أعظم منها عندي لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج أنَّ البعوضة

أضعف خلق الله، فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلة والضعف، وإذ كانت كذلك فلا شك أنَّ ما فوق أضعف الأشياء لا يكون إلا أقوى منه، فقد يجب أن يكون المعنى على ما قالاه فما فوقها في العظم والكبر، إذ كانت البعوضة نهاية في الضعف والقلة. وقيل في تأويل قوله: ((فما فوقها)) في الصغر والقلة، كما يُقال في الرجل يذكره الذاكر فيصفه باللؤم والشح، فيقول السامع: نعم، وفوق ذاك، يعني فوق الذي وصف في الشح واللؤم. وهذا قول خلاف تأويل أهل العلم الذين ترتضى معرفتهم بتأويل القرآن، فقد تبين إذاً بما وصفنا أنَّ معنى الكلام: إنَّ الله لا يستحيي أن يصفَ شبها لما شبه به الذي هو ما بين بعوضة إلى ما فوق البعوضة. فأما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة فغير جائز في (ما) إلا ما قلنا من أن تكون اسماً لا صلة بمعنى التطول.[1]

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره قوله تعالى: ((أن يضرب مثلا ما)) يضرب معناه يبين، وأن مع الفعل في موضع نصب بتقدير حذف من. (مثلاً) منصوب ب (يضرب). (بعوضة) في نصبها أربعة أوجه:

الأول: تكون (ما) زائدة، و (بعوضة) بدلاً من مثلاً.

[1] سورة البقرة / آية ٢٦ -تفسير الطبري.

الثاني: تكون (ما) نكرة في موضع نصب على البدل من قوله: (مثلاً) و (بعوضة) نعت لما، فوصفت ما بالجنس المنكر لإبهامها لأنها بمعنى قليل، قاله الفراء والزجاج وثعلب.

الثالث: نُصبت على تقدير إسقاط الجار، المعنى أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة، فحذفت (بين) وأُعربت بعوضة بإعرابها، والفاء بمعنى إلى، أي إلى ما فوقها. وهذا قول الكسائي والفراء أيضاً.

الرابع: أن يكون يضرب بمعنى يجعل، فتكون بعوضة المفعول الثاني. وقرأ الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة ورؤبة بن العجاج (بعوضة) بالرفع، وهي لغة تميم. قال أبو الفتح: ووجه ذلك أنَّ (ما) اسم بمنزلة الذي، وبعوضة رفع على إضمار المبتدأ، التقدير: لا يستحيي أن يضرب الذي هو بعوضة مثلاً، فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ. ومثله قراءة بعضهم: تماماً على الذي أحسن، أي على الذي هو أحسن.

وحكى سيبويه: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً، أي هو قائل. قال النحاس: والحذف في (ما) أقبح منه في الذي؛ لأن الذي إنما له وجه واحد والاسم معه أطول. ويقال: إن معنى ضربت له مثلاً، مثلت له مثلاً. وهذه الأبنية على ضرب

واحد، وعلى مثال واحد ونوع واحد والضرب النوع. والبعوضة: فعولة من بعض إذا قطع اللحم، يقال: بضع وبعض بمعنى، وقد بعضته تبعيضا، أي جزأته فتبعض. والبعوض: البق، الواحدة بعوضة، سميت بذلك لصغرها. قاله الجوهري وغيره. وقوله تعالى: ((فما فوقها)) قد تقدم أن الفاء بمعنى إلى، ومن جعل ما الأولى صلة زائدة فـ (ما) الثانية عطف عليها.

وقال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما: معنى فما فوقها -والله أعلم-ما دونها، أي إنها فوقها في الصغر. قال الكسائي: وهذا كقولك في الكلام: أتراه قصيراً؟ فيقول القائل: أو فوق ذلك، أي هو أقصر مما ترى. وقال قتادة وابن جريج: المعنى في الكبر. والضمير في (أنه) عائد على المثل أي إن المثل حق. والحق خلاف الباطل. والحق: واحد الحقوق. والحقة (بفتح الحاء) أخص منه، يقال: هذه حقتي، أي حقي).[1]

وجاء في تفسير الجلالين: ((إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب)) يجعل (مثلاً) مفعول أول (ما) نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أيَّ مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثاني (بعوضة) مفرد البعوض وهو صغار البق (فما

[1] سورة البقرة / آية ٢٦ – تفسير القرطبي.

فوقها) أي أكبر منها أي لا يترك بيانه لما فيه من الحكم (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه) أي المثل (الحق) الثابت الواقع موقعه ((من ربّهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً)) تمييز أي بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره أي: أيّ فائدة فيه قال الله تعالى في جوابهم (يُضل به) أي بهذا المثل (كثيراً) عن الحق لكفرهم به (ويهدي به كثيراً) من المؤمنين لتصديقهم به ((وما يضل به إلا الفاسقين)) الخارجين عن طاعته.[1]

وقال الإمام الرازي رحمه الله: (والمحققون مالوا إلى هذا القول لوجوه:

أحدها: أنَّ المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان، وكلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولاً.

وثانيها: أنَّ الغرض ههنا بيان أنَّ الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير، وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانياً أشد حقارة من الأول، يُقال إنَّ فلاناً يتحمل الذل في اكتساب الدينار، وفي اكتساب ما فوقه، يعني في

[1] سورة البقرة / آية ٢٦ – تفسير الجلالين.

القلة لأن تحمل الذل في اكتساب أقل من الدينار أشد من تحمله في اكتساب الدينار.

وثالثها: أنَّ الشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب، فإذا كان في نهاية الصغر لم يحط به إلا علم الله تعالى، فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالشيء الكبير. وفيه ترقية معنوية وهي الترقي من الأدنى إلى الأعلى في الحقارة بيان أنَّ الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير الصغير سَوَاءٌ كَانَ بَعُوضَةً أَوْ أَصْغَرَ مِنْهَا حَجْمًا، وَأَقَلَّ عِنْدَ النَّاسِ شَأْنًا.[1]

وقال الشوكاني رحمه الله: قال أبو الفتح: وجه ذلك أنَّ ما اسم بمنزلة الذي، وبعوضة رفع على إضمار المبتدأ، ويحتمل أن تكون ما استفهامية كأنه قال تعالى: ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب المثل به، بل يدان لمثل بما هو أقل من ذلك بكثير، والبعوضة فعولة من بعض: إذا قطع، يقال: بعض وبضع بمعنى، والبعوض: البق، الواحدة بعوضة، سميت بذلك لصغرها قاله الجوهري وغيره. وقوله: فما فوقها قال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما. فما فوقها والله أعلم ما دونها، أي أنها فوقها في الصغر كجناحها. قال

[1] سورة البقرة / آية ٢٦ – تفسير الرازي.

الكسائي: وهذا كقولك في الكلام أتراه قصيرا فيقول القائل: أو فوق ذلك أي أقصر مما ترى. ويمكن أن يراد فما زاد عليها في الكبر.[١]

وقال الآلوسي رحمه الله: فَمَا فَوْقَهَا: الفاء عاطفة ترتيبية: والمراد إما: إما الزيادة في حجم الممثل به فهو ترقٍ من الصغير للكبير أو الزيادة في المعنى الذي وقع التمثيل فيه وهو الصغر والحقارة فهو تنزل من الحقير للأحقر.[٢]

وقال البغوي رحمه الله: (ما بعوضة) ما صلة أي مثلا بالبعوضة، وبعوضة نصب بدل عن المثل. والبعوض صغار البق سُميت بعوضة كأنها بعض البق (ما فوقها): يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل.[٣]

وجاء في تفسير البيضاوي رحمه الله: كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال، قال بعده: ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل، بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك. ونظيره فلان لا يبالي مما يهب ما دينار ودينارا ن. فما

---

[١] فتح القدير للشوكاني.

[٢] سورة البقرة / آية ٢٦ – تفسير الآلوسي.

[٣] سورة البقرة / آية ٢٦ – تفسير البغوي.

فوقها عطف على بعوضة، أو (ما) إن جعل اسما، ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت، كأنه قصد به رد ما استنكروه. والمعنى: أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه، أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلا، وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا.[1]

وقال ابن عاشور: قوله تعالى: ((ما بعوضة فما فوقها))، ما إبهامية تتصل بالنكرة فتؤكد معناها من تنويع أو تفخيم أو تحقير، نحو لأمر ما وأعطاه شيئاً ما. والأظهر أنها مزيدة لتكون دلالتها على التأكيد أشد. وقيل اسم بمعنى النكرة المبهمة. و(بعوضة) بدل أو بيان من قوله :(مثلاً)، والبعوضة واحدة البعوض وهي حشرة صغيرة طائرة ذات خرطوم دقيق تحوم على الإنسان لتمتص بخرطومها من دمه غذاء لها، وتعرف في لغة هذيل بالخموش، وأهل تونس يسمونه الناموس واحدته الناموسة وقد جعلت هنا مثلاً لشدة الضعف والحقارة. وقوله تعالى (فما فوقها) عطف على (بعوضة)، وأصل فوق اسم للمكان المُعتلي على غيره فهو اسم مبهم فلذلك كان ملازماً للإضافة لأنه تتميز جهته بالاسم

[1] تفسير البيضاوي.

الذي يضاف هو إليه فهو من أسماء الجهات الملازمة للإضافة لفظاً أو تقديراً ويستعمل مجازاً في المتجاوز غيره في صفة تجاوزاً ظاهراً تشبيهاً بظهور الشيء المُعتلي على غيره على ما هو معتل عليه، ففوق في مثله يستعمل في معنى التغلب والزيادة في صفة سواء كانت من المحامد أو من المذام يقال: فلان خسيس وفوق الخسيس وفلان شجاع وفوق الشجاع، وتقول: أعطى فلان فوق حقه أي زائداً على حقه. وهو في هذه الآية صالح للمعنيين أي ما هو أشد من البعوضة في الحقارة وما هو أكبر حجماً. ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة) رواه مسلم، يحتمل أقل من الشوكة في الأذى مثل نَخْبة النملة كما جاءَ في حديث آخر، أو ما هو أشد من الشوكة مثل الوخز بسكين وهذا من تصاريف لفظ فوق في الكلام ولذلك كان لاختياره في هذه الآية دون لفظ أقل ودون لفظ أقوى مثلاً موقع من بليغ الإيجاز. والفاء عاطفة (ما فوقها) على (بعوضة) أفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما، وحقها أن تفيد الترتيب والتعقيب ولكنها هنا لا تفيد التعقيب وإنما استعملت في معنى التدرج في الرتب بين مفاعيل (أن يضرب) ولا تفيد أن

ضرب المثل يكون بالبعوضة ويعقبه ضربه بما فوقها بل المراد بيان المثل بأنه البعوضة وما يتدرج في مراتب القوة زائداً عليها درجة تلي درجة فالفاء في مثل هذا مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد لأن الفاء موضوعة للتعقيب الذي هو اتصال خاص، فاستعملت في مطلق الاتصال، أو هي مستعارة للتدرج لأنه شبيه بالتعقيب في التأخر في التعقل كما أن التعقيب تأخر في الحصول ومنه: (رحم الله المحلقين فالمقصرين). والمعنى: أن يضرب البعوضة مثلاً فيضرب ما فوقها، أي: ما هو درجة أخرى أي أحقر من البعوضة مثل الذرة وأعظم منها مثل العنكبوت والحمار.[١]

وجاء في التفسير الميسر: (إنَّ الله تعالى لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئًا ما، قلَّ أو كثر، ولو كان تمثيلا بأصغر شيء، كالبعوضة والذباب ونحو ذلك، مما ضربه الله مثلا لِعَجْز كل ما يُعْبَد من دون الله. فأما المؤمنون فيعلمون حكمة الله في التمثيل بالصغير والكبير من خلقه، وأما الكفار فَيَسْخرون ويقولون: ما مراد الله مِن ضَرْب المثل بهذه الحشرات الحقيرة؟ ويجيبهم الله بأنَّ المراد هو الاختبار، وتمييز المؤمن من الكافر؛ لذلك يصرف الله بهذا المثل ناسًا كثيرين

[١] سورة البقرة / آية ٢٦ –تفسير ابن عاشور.

عن الحق لسخريتهم منه، ويوفق به غيرهم إلى مزيد من الإيمان والهداية. والله تعالى لا يظلم أحداً؛ لأنه لا يَصْرِف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته).[١]

وجاء في تفسير السعدي رحمه الله: (إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما) أي: أي مثل كان (بعوضة فما فوقها) لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق، وكأن في هذا، جواباً لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة، واعترض على الله في ذلك. فليس في ذلك محل اعتراض. بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم. فيجب أن تتلقى بالقبول والشكر).[٢]

ويقول الصابوني رحمه الله: (إنَّ الله لا يستنكف ولا يمتنع عن أن يضرب أيُّ مثلٍ كان، بأي شيءٍ كان، صغيراً كان أو كبيراً (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) أي سواء كان هذا المثل بالبعوضة أو بما هو دونها في الحقارة والصغر، فكما لا يستنكف عن خلقها، كذلك لا يستنكف عن ضرب المثل بها).[٣]

---

[١] سورة البقرة / آية ٢٦ – التفسير الميسر.

[٢] سورة البقرة / آية ٢٦ – تفسير السعدي.

[٣] صفوة التفاسير -محمد علي الصابوني.

ويقول صالح بن عواد المغامسي: (قال ربنا وهو أصدق القائلين: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)) [البقرة:٢٦] مر معنا: أن ضرب الأمثال تريد به العرب ثلاثة أمور: إيجاز اللفظ، ودقة التشبيه، وإصابة المعنى، وهذا مر معنا في شرحنا لقول الله تعالى: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ)).[النور: ٣٥]

هنا الله جل وعلا يخبر أنَّ الغاية من ضرب الأمثال: إظهار الحق وإقامة الحجج، والأمثال لا بد أن تكون قريبة من الناس واضحة، فلا يُستنكر أنَّ الله قال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا)) [الحج:٧٣] فعبر بالذباب؛ لأنَّ الذباب أمرٌ معروفٌ لا يختلف الناسُ فيه، وكذلك البعوض، والمقصود إقامة الحجة وإيضاح المحجة، وهذا لا يكون إلا بالشيء المتعارف عليه. والناس في تلقيهم لخطاب القرآن فريقان: فريق يؤمنون كما قال الله في العظماء من أهل الإيمان: ((وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)) [آل عمران:٧] وأما غيرهم فيصيبهم الشك: ((فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ

اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)) [البقرة:٢٦] فيأتي الجواب، قال الله تعالى: ((يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)) [البقرة:٢٦] إذا نزلت الأمثال القرآنية والحجج الإلهية اختلف الناس فيها، وأهل الفسق يضلون عنها).[١]

خلاصة معاني لفظة (فوق):

القول الأول:

فما فوقها في الصغر، والحقارة والسفالة والنذالة وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلة والحقارة لأنه سبحانه ضرب المثل بالأقل؛ فالمراد فما فوقها في الاحتقار والقلة في الحجم مما تنكرونه، وهو الضآلة. قال الراغب الأصفهاني رحمه الله في تفسيره: وقوله: (فَمَاَ فَوْقها)، قيل معناه: ما دونها، وإنما عنى ما فوقها في الصغر، ففسره بدون، فظن بعض أهل اللغة أنَّ فوق يكون بمعنى (دون) فأخرجه في جملة ما صنف من الأضداد. والزيادةُ في المعنى الذي أُريد بالتمثيل الصِّغَر والحقارة فأيَّ شيء فوقها في الصغر والحقارة والفاء عاطفة ترتيبية فهو تنزل من الحقير للأحقر، فكل شيء كان ثبوت صفة فيه أقوى من ثبوتها في شيء آخر كان ذلك الأقوى فوق الأضعف في تلك الصفة

[١] سلسلة محاسن التأويل – صالح بن عواد المغامسي.

يُقال إنَّ فلاناً فوق فلان في اللؤم والدناءة. أي هو أكثر لؤماً ودناءة منه، وكذا إذا قيل هذا فوق ذلك في الصغر وجب أن يكون أكثر صغراً منه.[1]

قال الكسائي رحمه الله: وهذا كقولك في الكلام أتراه قصيراً، فيقول القائل، أو فوق ذلك أي: أقصر مما ترى. وكما إذا وصف رجل باللؤم والشح، فيقول السامع: نعم، وهو فوق ذلك، يعني فيما وصفت. وكما تقول هو حقير فتقول وفوق الحقير يعني هذا دون هذا كما يقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك. يعني: أجهل من ذلك، ونحو قولك - لمن يقول: فلان أسفل الناس وأنذلهم- فتقول هو فوق ذاك، تُريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة، يُقال إنَّ فلاناً يتحمل الذل في اكتساب الدينار، وفي اكتساب ما فوقه، يعني في القلة لأنَّ تحمّل الذل في اكتساب أقل من الدينار أشد من تحمله في اكتساب الدينار، ويدل على أنه أُريد به هذا المعنى أنهم كانوا قديما يضربون المثل في الصّغر بمخّ النملة والبعوضة، فقد قالوا : أعز من مخ البعوضة وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات، فقيل: هو أحقر من ذرة وأجمع من نملة وأطيش من ذبابة، وقد ضرب النبي صلى الله

[1] تفسير الراغب الأصفهاني.

عليه وسلم مثلاً للدنيا بجناح بعوضة وهو أصغر منها، قالوا وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أنَّ الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير فيجب أن يكون المذكور ثانياً أحقر من الأول.[١]

وقال الشهاب رحمه الله: والأوّل أوفق بسبب نزول الآية والثاني أقضى لحق البلاغة وفيه نظر، والذي ارتضاه المدقق في الكشف إنَّ ما قدمه الزمخشريّ وجعله المصنف ثانيا أولى، واليهِ ميل المُحققين، قال: وهو الحق لأنَّه المعنى الذي سيق له الكلام ولأنَّه المُطابق للمبالغة، وأما الحمل على الثاني فلا يظهر وجهه إلا إذا خص لمورد النزول وأنَّه كان في نحو الذباب والعنكبوت أو بجعل البعوضة عمود التحقير وكلاهما غير ظاهر وهذان الوجهان على المشهورة.[٢]

القول الثاني:

فما فوقها في الحجم والكبر والزيادة في حجم الممثل به فهو ترقٍ من الصغير للكبير في الحجم والجُثة، كالذباب والعنكبوت، لأنَّ البعوضة غاية في الصغر فيكون ذكر البعوضة تنبيهاً على الصغر، وما فوقها تنبيهاً على الكبر

[١] معاني القرآن – للكسائي.

[٢] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي.

والمعنى أنه لا يستحيي من ضرب المثل بالبعوضة فضلاً عما هو أكبر منه لانَّ البعوضة غاية في الصغر ورُجِّح هذا لأنَّ إنكار من أنكر كان لضرب الله المثل لمهانتهما فقصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة والفاء عاطفة ترتيبية الفاء عاطفة ترتيبية: فهو ترق وترتيب من الصغير للكبير أن يضرب مثلا بعوضة فضلاً عما هو أكبر منه . والعرب تمثل بالبعوضة لغاية الصغر وكثر استعمال البلغاء للتمثيل بها كقولهم (أضعف من البعوضة) و (كلفتني مخ البعوضة) و (أعزّ من مخ البعوضة) و (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة)، ويؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة)، وكما تقول لصاحبك: وقد ذمّ من عرفته يشح بأدنى شيء فقال: فلان بخل بالدرهم فما فوقه، تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان، كأنك قلت: فضلا عن الدرهم والدرهمين. وكما لو قيل: يحرم الربا في كل مطعوم، فقال قائل: فما تقول في السفرجل والتفاح [اللوز؟ فإنك تقول له: قد قلت: إنه يحرم الربا في كل مطعوم، فما سؤالك عن التفاح] وغيره؟

لأنه الذي يتبادر من لفظة فوق. قال أبو حيان: وهذا الذي نختاره لجريان فوق على مشهور ما استقر فيها في اللغة، وبأنَّ لفظ (فوق) يدل على العلو، فإذا قيل هذا فوق ذاك، فإنما معناه أنه أكبر منه ويروى أنَّ رجلاً مدح علياً رضي الله عنه والرجل متهم فيه، فقال علي: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك، أراد بهذا أعلى مما في نفسك.

قال أبو حيان رحمه الله: وما فوقها الظاهر أنه يعني في الحجم كالذباب والعنكبوت، قاله ابن عباس: ويكون ذكر البعوضة تنبيهاً على الصغر، وما فوقها تنبيهاً على الكبر، وبه قال أيضاً قتادة، وابن جريج، والذي نختاره القول الأول لجريان فوق على مشهور ما استقر فيها في اللغة.[1]

وقال الفراء رحمه الله: فالذي (فَوْقَها) يريد أكبر منها، وهو العنكبوت والذباب. ولو جعلت في مثله من الكلام (فَما فَوْقَها) تريد أصغر منها لجاز ذلك. ولست أستحسنه لأن البعوضة كأنها غاية في الصغر، فأحبّ إلىّ أن أجعل (فَما فَوْقَها) أكبر منها. ألا ترى أنك تقول: يعطى من الزكاة الخمسون فما دونها. والدرهم فما فوقه فيضيق الكلام أن تقول: فوقه فيهما. أو دونه فيهما. وأما موضع حسنها في الكلام

[1] تفسير البحر المحيط – أبو حيان الغرناطي الأندلسي.

فأن يقول القائل: إنَّ فلاناً لشريف، فيقول السامع: وفوق ذاك يريد المدح. أو يقول: إنه لبخيل، فيقول الآخر: وفوق ذاك، يريد بكليهما معنى أكبر. فإذا عرفت أنت الرجل فقلت: دون ذلك فكأنّك تحطّه عن غاية الشّرف أو غاية البخل. ألا ترى أنك إذا قلت: إنه لبخيل وفوق ذاك، تريد فوق البخل، وفوق ذاك، وفوق الشّرف. وإذا قلت: دون ذاك، فأنت رجل عرفته فأنزلته قليلا عن درجته. فلا تقولنّ: وفوق ذاك، إلا في مدح أو ذمّ.[1]

وقال الزجاج رحمه الله: في معنى الآية لا يجوز في القياس أن يُريد أصغر منها وإنما يجوز هذا في الصفة، هذا صغير وفوق الصغير، وقليل وفوق القليل، أي جاوز القليل فأما هذه نملة وفوق النملة، وحمار وفوق حمار؛ يريد أصغر من النملة ومن الحمار، فلا يجوز ذلك؛ لأنَّ هذا اسم ليس فيه معنى الصفة التي جاز فيها ذلك ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه، ويؤيده الاستعمال القرآني لكلمة فوق : ((فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ))النساء/١١،((وهُوَالْقَاهِرُفَوْقَ عِبَادِهِ))الأنعام/١٨،((رَفَعَ

[1] معاني القرآن للفراء.

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ))الأنعام/١٦٥، ((فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ))الأنفال/١٢، ((أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي))يوسف/٣٦، ((اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ))ابراهيم/٢٦، ((الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ))النحل/٨٨، ((يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ)) الحج/١٩، ((مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ))النور/٤٠، ((ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ))الدخان/٤٨، ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ))الفتح /١٠، ((يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ))الحجرات/٢.[١]

القول الثالث: أجاز الوجهين:

قال المطعني في خصائص التعبير: ((فَمَا فَوْقَهَا)) فإنَّ الفوقية هنا لها معنيان، أحدهما: فما تجاوزها في المعنى الذي ضُرِبت فيه وهو القِلة والحقارة.

وثانيهما: فما زاد عليها في الحجم، ولما كان أحد هذين المعنيين لم تنصب قرينة على إرادته بعينه، وبقي الفهم والاعتقاد شركة بينهما حصل النوع البديعي الذي يسمونه (التوجيه)؟

[١] إعراب القرآن للزجاج.

وهو أن يكون للفظ معنيان لم تقم قرينة على إرادة أحدهما. والمتأمل يرى أنَّ كلا المعنيين هنا صالح للفهم والاعتقاد.[١]

وعن نوع الفاء في الآية الكريمة: قال القونوي: فالفاء للترتيب الرتبي على سبيل الترقي في القول الأول بالنظر إلى عدم الاستحياء وللترتيب الرتبي على سبيل التنزل في الثاني بالنظر إليه أيضا أو العكس بالنظر إلى المعنى الذي جعلت البعوضة مثلاً.[٢]

وقال البقاعي: والفاء تدل على ارتباط ما إما تعقيب واتصال أو تسبيب، ففيه هنا إعلام بأقرب ما يليه على الاتصال والتدريج الى أنهى ما يكون.[٣]

وقال ابن عاشور: والفاء عاطفة (ما فوقها) على (بعوضة) أفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما، وحقها أن تفيد الترتيب والتعقيب ولكنها هنا لا تفيد التعقيب وإنما استعملت في معنى التدرج في الرتب بين مفاعيل أَنْ يَضْرِبَ هي مستعارة للتدرج لأنه شبيه بالتعقيب في التأخر في التعقل

[١] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. د. عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني.

[٢] حاشية القونوي على تفسير البيضاوي.

[٣] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور-للبقاعي.

كما أنَّ التعقيب تأخر في الحصول ومنه: (رحم الله المحلقين فالمقصرين).[1]

وقال المراغي رحمه الله: وفيه ترقية معنوية وهي الترقي من الأدنى إلى الأعلى في الحقارة.[2]

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قوله تعالى ((فما فوقها)): هل المراد بما فوق أي فما فوقها في الحقارة، فيكون المعنى أدنى من البعوضة أو فما فوقها في الارتفاع فيكون المراد ما هو أعلى من البعوضة؟ فأيهما أعلى خلقه: الذباب أو البعوضة؟ الجواب: الذباب أكبر وأقوى لا شك لكن مع ذلك قد يكون معنى الآية فما فوقها أي فما دونها لأن الفوقية تكون للأدنى وللأعلى كما أنَّ الوراء تكون للأمام وللخلف كما في قوله تعالى: ((وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً)) الكهف/٧٩ (أي كان أمامهم). وهو: إنَّ الله لم يجعل ضرب المثل بالبعوضة أو أصغر منها مما يستحيي منه، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنَّ ضرب المثل بذلك حق، وأنه لا يسوغ

[1] التحرير والتنوير – لابن عاشور.

[2] تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي.

إنكاره، وأما الذين كفروا فلا يسيغون ضرب المثل بذلك وينكرونه ويسخرون منه.[١]

والبعوضة على ضآلتها التي جعلت الناس يستهينون بها قبل اكتشاف خطرها قد أمدها الله تعالى بمواهب بحيث لا تغالب ولا يمتنع منها أحد حتى لو كان أعظم الجبابرة، وفي قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)). ومعنى الآية أنه تعالى لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلا ولو كان في الصغر كالبعوضة، فما استنكره السفهاء وأهل العناد والمراء واستغربوه، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب.[٢]

قال أبو حيان: قد أوجدها على الغاية القصوى من الإحكام وحسن التأليف والنظام وأظهر فيها مع صغر حجمها من بدائع الحكمة كمثل ما أظهره في الفيل الذي هو في غاية الكبر وعظم الخلقة. وفي البعوضة مع صغر حجمها وضعف بنيانها من حسن التأليف ودقيق الصنع، ما يعجز أن يحاط بوصفه وهي مع ذلك تبضع بشوكة خرطومها مع لينها جلد

[١] الشيخ ابن عثيمين رحمه الله -تفسير سورة البقرة الجزء الأول.

[٢] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة– يوسف الحاج أحمد.

الجاموس والفيل وتهتدي إلى البشرة بغير دليل وهذا ما ليس في وسع أحد من البشر.[1]

وقال الخازن: والبعوض، في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى أن الجمل يموت من قرصه، وفي هذا المعنى قالوا: البعوضة تؤذي الملوك فوق الأسِرَّة، تحقرها عين من رآها تمشي إلى الملك تؤذيه بإقبالها، فتعجز كفه وترغم أنفه وتضرج خده وتفري جلده زجرتها تسليمها ورمحها خرطومها تذلل صعبك وإن كنت ذا قوة وعزم وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفة وعسكر ضخم تنقض العزائم وهي منقوضة وتعجز القوى وهي بعوضة ليرينا الله عجائب قدرته وضعفنا عن أضعف خليقته. وفي نفي الاستحياء استنكار للاستهانة وبيان للأهمية والخطورة وإعلام مؤكد بعناية الله والتمكين بقدرات تتحدى المخاطبين، وعلى وجه أنَّ لفظ (بعوضة) بدل من (مثلاً) وهو الأرجح (أي مثلا الذي هو بعوضة فما فوقها)، يزيد اختصاصها، وما يفوقها ضآلة بنفي الاستحياء، ويصير المعنى أنَّ الله تعالى يستنكر الاستهانة بها بل ويتخذها مثلاً من بين الكائنات الضارة

[1] تفسير البحر المحيط – أبو حيان الغرناطي الأندلسي.

المماثلة لها في الخطر، فيسري الاختصاص بالضرر على ما يشير إليه حرف (ما) الثاني مما هو دونها فضلا عما يشمله حرف (ما) الأول مما يكبرها، وبهذا التحديد يختص النبأ ببيان خطر البعوضة ويشمل الأحياء مجهولة الضرر عند التنزيل مما يناظرها أو يكبرها أو يفوقها ضآلة. والفوقية من حيث اللغة العلو والزيادة في صفة يبينها السياق سيقت من أجلها المقارنة، وفي قوله تعالى: ((بعوضة فما فوقها)): الزيادة في المعنى الذي وقع التمثيل فيه هو الصغر والحقارة فهو تنزل من الحقير للأحقر، خاصة أنَّ الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يشير إليه ما قبلها، أي: فما فوقها في الصغر لأنَّ الغرض المقصود هو الصغر، ولفظ (فوق) يستعمل في معنى التغلب والزيادة في صفة، ولذلك كان لاختياره في هذه الآية دون لفظ "أقل" ودون لفظ (أقوى) مثلاً موقع من بليغ الإعجاز، والفاء عاطفة عطفت ما فوقها على بعوضة وأفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما، (مع بيان) التدرج في الرتب.[1]

وقال الرازي: أراد بما فوقها في الصغر أي بما هو أصغر منها والمحققون مالوا إلى هذا القول، لأنَّ الغرض ها هنا بيان

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل – للخازن.

أنَّ الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانيا أشد حقارة من الأول، والشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب فإذا كان في نهاية الصغر لم يحط به إلا علم الله فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالشيء الكبير، وإذا قيل هذا فوق ذلك في الصغر وجب أن يكون أكثر صغراً منه، وعذر من حمل الفوقية على الكبر خارقا لوحدة الإطار الذي ضربت فيه البعوضة وما فوقها مثلاً هو عدم العلم بما يفوق البعوضة ضآلة واعتبارها: نهاية في القلة والضعف، وغرض الإعلام حماية القرآن من التكذيب لأنه في مدى علمهم: ليس شيء أصغر من البعوضة، ولكن: المعنى الذي ضربت فيه مثلا هو القلة والحقارة.. ولا يُقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر؟، لأن التعقيب على الآية: ((فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم)) البقرة/٢٦، وهذا يجعلهم: يتفكرون فيها فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل ازداد بذلك علمهم وإيمانهم وإلا علموا أنها حق وما اشتملت عليه حق وإن خُفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأنَّ الله لم يضربها عبثاً بل لحكمة بالغة، وخبر المتدرجين في

الصغر دون البعوضة: لا يسوغ إنكاره لأنه ليس عبثاً بل هو مشتمل على أسرار.[١] وقال بعضهم: (ما فوقها) يعني ليس ما فوق جناحها أو فوق جسمها، وانما هذا مثل قول القائل: إذا جاءني فلان أو الذي فوقه فلن أخضع له -يعني وما هو أعلى منه رتبةً ومنزلةً. وما دونها يعني ما هو أضعف منها وأقل رتبةً ومنزلةً، وليس بمعنى تحتها. ويوجد ما هو أصغر وأدق من البعوضة مثل البرغوث، لكن العرب في ذلك الزمان كانوا يضربون المثل بالبعوضة للدلالة على الحقارة والصغر، فمثلاً كانت العرب تقول: لا يساوي فلان عندي جناح بعوضة من شدة الاستخفاف به، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)[٢]. فالبعوضة لا شأن لها، وجناح البعوضة من باب أولى ألا يكون له شأن، فلو كانت تعدل جناح بعوضة لما سقى منها كافراً شربة ماء[٣].

والخلاصة أنَّ الآية تحتمل معنيين:

---

[١] تفسير الرازي.

[٢] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وقال بعض العلماء عنه: إسناده: صحيح لغيره، بمجموع طرقه.

[٣] ينظر موقع الشيخ الدكتور ظافر بن حسن ال جبعان، وموقع الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت، وموقع الحقيقة في كشف الحقائق المخفية -بتصرف.

١-فما فوقها في الصغر.

٢-فما فوقها في الكبر.

وكلا الاحتمالين صحيح كما قال المفسرون، وليس في الآية ما يفيد أنَّ البعوضة أصغر المخلوقات، وأن ليس هناك ما هو أصغر منها، غاية ما في الآية أنَّ الله تعالى بين أنه لا يستحيي ولا يخشى أن يضرب مثلاً ما، أي مثل كان، بأي شيء كان، صغيراً كان أو كبيراً، ومن هذه الأشياء البعوضة، والله تعالى أعلم.[١]

الإعجاز العلمي في الآية الكريمة:

فإذا أخذنا معنى كلمتي (فما فوقها) بأنه ما أدناها في الحجم أو ما أصغر منها، كما جاء في تفسير الطبري، فلقد وُجِدَ أنَّ البعوضة ترتبط بعلاقات معقدة مع الكائنات التي أصغر منها والتي تعيش داخل معدة البعوضة مثل: البكتريا، الفطريات الفيروسات والأوليات. وُجِدَ أنَّ بعض هذه الكائنات مفيدة وضرورية لحياة البعوضة، وبعضها ضار بها. تساعد البكتريا الموجودة في معي البعوضة في تصنيع مضادات للفيروسات التي تهاجم البعوضة. إنَّ السبب في

[١] من مقال للكاتب أحمد القصير -ملتقى أهل التفسير.

قدرة البعوضة على نقل الأمراض تكمن في سر ((فما فوقها)) أي ما أصغر منها من كائنات، وهي البكتريا التي تعيش في معدة البعوضة. إنَّ هذه البكتريا تُدافع عن البعوضة ضد المسببات المرضية المختلفة التي تدخل مع وجبة الدم التي تأخذها من إنسان أو حيوان مصاب بالمرض. تحاول البكتريا قتل المسببات المرضية ولكن إذا نجحت تلك المسببات في القضاء على البكتريا المتعايشة مع البعوضة أو إضعافها، فإنَّ تلك المسببات تتكاثر في العدد وتسبب الأمراض. ولعل نتائج البحث قد كشفت عن بعض السر المعجز في التعبير القرآني ((فما فوقها)). إنَّ هذه الكائنات تحمى البعوضة، والشيء المعجز أنها تحمى الإنسان أيضاً عن طريق قتل المسببات المرضية التي تنتقل إليه إذا تغذت على البعوضة على دمه. أما إذا أخذنا معنى ((فما فوقها)) على أنه فما فوق جسم البعوضة، فلقد وُجِدت كائنات دقيقة أصغر من البعوضة تعيش فوق جسمها من الخارج، تفترس البعوضة وتقتلها مثل: الحلم والفطريات. إذا أخذنا معنى ((فما فوقها)) بأنه ما أكبر منها في الحجم، فإننا سنجد أنَّ البعوضة ترتبط بعلاقات معقدة مع الكائنات الأكبر منها وخاصة الإنسان والحيوان. فلقد وُجِد أنَّ البعوضة تُصيب الإنسان والحيوان

بالعديد من الأمراض. ولكن كل المسببات المرضية التي تسبب هذه الأمراض تقع تحت التفسير الأول لمعنى بعوضة فما فوقها أي الكائنات الأصغر منها والتي سبق ذكرها. أيضاً نجد أنَّ البعوضة ترتبط مع معظم أفراد المملكة الحيوانية بعلاقات كثيرة. مثل الأسماك، الزواحف، البرمائيات والثدييات. ولقد عبر القرآن الكريم عن كل تلك العلاقات سواء التي بين الكائنات الأكبر من البعوضة أو الكائنات الأصغر منها (المسببات المرضية) في تعبير معجز (بعوضة فما فوقها).[1]

وتم اكتشاف حشرة تكون فوق جسم البعوضة، هي أصغر منها، وقد تكون هذه الحشرة هي المقصودة بأنها فوق البعوضة؛ أي فوقية مكانية. والاختلاف إنما هو من اختلاف التنوع الذي يرجع إلى أكثر من معنى، فلا يقال إنَّ بين المعنيين تضادّاً، فهذا يذهب إلى الصِّغر، وذاك يذهب إلى الكِبر، لانفكاك الجهة في المراد بالكبير والصغير، إذ ليس واحدًا بعينه فيقع التضاد. لكن لو رجَّح مُرجِّحٌ أحدَ المعنيين بدلائله المذكورة فإنَّ في الأمر سَعَةً أيضاً، إذ اختلاف التنوع يدخله ترجيح الأولى، وليس فيه ردٌّ مطلقٌ للقول الآخر. ويبقى

[1] من بحث للأستاذ الدكتور، مصطفى إبراهيم حسن –بتصرف.

القول: هل يُراد بالآية هذه الحشرة التي تكون فوق البعوضة، ويكون هذا مما يُسمى بـ (الإعجاز العلمي)؟

والجواب عن هذا أن يُقال: إن كان المراد قصر المعنى على هذه الحشرة دون غيرها ففيه نظر: لأنَّ هذا لا يتوافق مع نظم الآية العربي؛ لأنه لو كان المُراد الفوقية المكانية لقيل: ((وما فوقها))، ولو كان النظم هكذا لاحتمل الفوقية المكانية وغيرها. أما نص الآية على نظمها فلا يحتمل الفوقية المكانية، والله أعلم. وقصر الآية على ما ظهر من الاكتشافات الحديثة مزلق وقع فيه بعض من كتب فيما يسمى بـ (الإعجاز العلمي). لكن لو قيل: إنَّ هذه الحشرة تدخل في عموم قوله ((فما فوقها)) أي في الصِّغَرِ، لجاز، ومن ثَمَّ فليس لهذه الحشرة مزية على غيرها البتة، والله أعلم.[1]

يقول عبد الدائم الكحيل: يعتقد بعض القراء أنَّ البعوضة يعيش فوقها حشرات أخرى وتحديداً على رأسها ويقولون إنَّ هذا يُفسّر قوله تعالى: ((بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا))، ونقول إنَّ هذا الاعتقاد غير صحيح، بل إنَّ كل الحشرات يعيش على رأسها وجسدها بكتريا ومخلوقات أخرى لا تُرى! فالذبابة تحوي ملايين البكتريا التي تعلق على سطحها وأرجلها، وكذلك

[1] من مقال للكاتب مساعد الطيار-ملتقى أهل التفسير- بتصرف.

البعوضة وغيرها من الحشرات. ولكن المقصود من قوله تعالى ((فَمَا فَوْقَهَا)) أي أنَّ الله هو الذي خلق هذه البعوضة وهو أعلم بخصائصها وتركيبها وتعقيدها، ولذلك فهي نموذج يضربه الله لكل مُلحد مُستكبر، ليقول له: إياك أن تستهزئ بمخلوقات الله، فالله تعالى يذكر ما يشاء من مخلوقاته مثل البعوضة وما فوقها من مخلوقات أخرى أكبر أو أصغر منها، فجميع هذه المخلوقات صغيرة أم كبيرة قد أتقن الله صنعها، فهو القائل: ((صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)) [النمل: ٨٨].[١]

البعوضة والإعجاز الإلهي:

إنَّ الإنسانَ لو تيقظ حق تيقظ إلى أنَّ البعوضة وكل ذرة من ذرات الكون يقدس اللهَ تعالى وينزهه ويشهد بجلاله وكبريائه وقهره، وعمر خاطره بهذا الفهم لشغله ذلك عن الطعام فضلا عن فضول الأفعال والكلام، فلا ذرة في عالم المحدثات إلا وهي تدعو العقول إلى معرفة الذات والصفات، وهذه البعوضة بحسب حدوث ذاتها وصفاتها تدعو إلى قدرة الله وبحسب تركيبها العجيب تدعو إلى علم الله وبحسب تخصيص ذاتها وصفاتها بقدر معين تدعو إلى إرادة الله فكأنه

[١] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – عبد الدائم الكحيل – بتصرف.

تعالى يقول مثل هذا الشيء كيف يُستحيا منه. فمن ذا الذي لا يعبد اللهَ وحده وهذه آثار صنعته وآيات قدرته؟ ومن ذا الذي يجعل لله أنداداً ويد الإعجاز واضحة الآثار فيما تراه الأبصار وفيما لا تدركه الأبصار؟ فالله تعالى رب الصغير والكبير وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل إنها معجزة الحياة، معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا الله، على أنَّ العبرة في المثل ليست في الحجم، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير وليس في ضرب (المثل بالبعوضة) ما يُعاب وما من شأنه الاستحياء من ذكره، ((فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم)) ذلك أنَّ إيمانهم بالله يجعلهم يتلقون كل ما يصدر عنه بما يليق بجلاله وبما يعرفون من حكمته وقد وهبهم الإيمان نوراً في قلوبهم وحساسيةً في أرواحهم وتفتحاً في مداركهم واتصالاً بالحكمة الإلهية في كل أمر وفي كل قول يأتيهم من عند الله تعالى: ((وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا)) وهو سؤال المحجوب عن نور الله وحكمته المقطوع الصلة بسنة الله وتدبيره. ولذا عندما يستنكر القرآن الكريم الاستهانة بالبعوضة دالاً على خطرها ويُشرِك ما فوقها ضآلة معها في الحكم فإنه يسبق عصر المعرفة العلمية بأكثر من

عشرة قرون ويُعلِن أنه وحده هو كلمة الله الباقية للأمم، ومن عجيب البيان القرآني المعجز العدول باللفظ بعوضة والضمير فوقها إلى الإفراد والتأنيث بدلاً عن تغليب التذكير أو التعبير بالجمع الدال على تماثل الجنسين في الوصف، والحقيقة الراسخة أنَّ أنثى البعوض وحدها هي التي تتغذى على الدم وتنقل الأمراض وليس للذكر أجزاء فميه ثاقبة للجلد، وهكذا يعدل القرآن باللفظ إلى صيغة تتفق مع الواقع قبل أن يكتشفها الزمان وتعاينها الأجيال، ونفي الاستحياء بدلاً من الإثبات لبيان أهمية البعوضة وما يماثلها يتضمن استنكار الاستهانة بها وبيان الجهل بخطرها عند التنزيل. وتعدد الأنواع يفيده ورود (بعوضة) بالتنكير و (ما) الإبهامية مرتين لوصف ما دونها فضلا عما يكبرها من كائنات مؤذية أو ناقلة للمرض، وأنواع البعوض والكائنات الدقيقة تتمايز في أشكالها وعاداتها وكذلك في أسلحتها التخصصية التي تتحدى بها الإنسان وتهاجم بها الحيوان حيث يسبب النوع الواحد أنواعاً محددة من الأمراض لضحايا محددة، وما أشبه الصراع مع كائن ضئيل بمعركة كتبت لجنوده فيها الغلبة على الدوام فكانت تحدياً أبدياً لغرور الإنسان وكبريائه ومثالاً صارخاً على قدرة الله المعجزة وعنايته بالخلق مهما

بلغت ضآلته، وهكذا تحدى القرآن الكريم البشر ببعوضة ضئيلة وما يفوقها ضآلة من كائنات دقيقة ، وعدّها آيةً على علم الله المحيط وبينة على التنزيل، وما أعظم الصدق وأروع بيان العلم بخفايا التكوين في قوله تعالى: ((وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر)) [المدثر: ٣١] .[١]

[١] من الإعجاز العلمي: البعوضة وما فوقها -من مقال للدكتور محمد بن إبراهيم دودح -باحث علمي في هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة -موقع الإسلام اليوم.

الخاتمة:

وفي الختام فإننا نقف عاجزين عن التعليق عن تفسير هذه الآية الكريمة (ما بعوضةً فما فوقها)، فهي تستطيع أن تحتوي أقوال كل المفسرين سواء المخلوقات الأدنى منها في الحجم أو الأكبر أو الأعظم منها في الخلق، أو بمعنى المخلوقات التي فوق جسم البعوضة نفسها. فهذه الآيات تدلنا إلى أنَّ جميع مخلوقات الله سبحانه وتعالى من أصغرها إلى أكبرها هي آيةٌ دالةٌ على عظمة الله تعالى وإن بدت تافهة فقد أودع الله سبحانه وتعالى فيها من آياته وقدرته ما تتحير بها العقول، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات لا يستحي أن يضرب مثلاً بالبعوضة التي قد يعتبرها بعض الجهال مخلوقاً تافهاً، لكن الله تعالى لا يستحي أن يضرب مثلاً بها وذلك ليدلنا على آيات عظمة خلق البعوضة.

وبعدَ كل هذا الذي اطَّلعتَ عليه عزيزي القارئ اعلم أنَّ الإعجازَ ما انتهى الى هذا الحد، فما تطرقتُ اليهِ في هذا البحث، ما هو الاّ نقطةٌ من بحر. ولعَلَّهُ إن طالت بنا حياة ان شاءَ اللهُ تعالى سيكون لهذا الحديث امتدادٌ وتتمةٌ. وفي الختام نسأل الله تعالى أن ينفعَ بالذي كتبتُهُ وذكرتُه في بحثي هذا، وأن يكتب لي ولكل من قرأهُ وأعانَ على طبعهِ ونشرة،

من الخير الكثير والأجر والثواب العظيم، ويرزقنا واياكم وجميع المسلمينَ والمسلمات العفو والعافية، والرحمة والمغفرة، والتوفيق والسداد والقبول، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علَّمنا في الدنيا والآخرة، انَّهُ وليُّ ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشيخ عبد الله جبر عليوي جبر الخطيب
abdallahjber@yahoo.com
١٤٣٨هجرية – ٢٠١٧ ميلادية

المصادر والمراجع:

١. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) -إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين. المحقق: سامي بن محمد السلامة – دار طيبة -الطبعة الثانية -سنة النشر: ١٤٢٠ - ١٩٩٩

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري -علي بن أحمد بن حجر العسقلاني – المحقق: عبد القادر شيبة الحمد – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ تفسير الطبري-للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري-تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي -دار هجر -الطبعة: الأولى-١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.

٤. الجامع لأحكام القرآن-تفسير القرطبي -أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي -المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي -الناشر: مؤسسة الرسالة -الطبعة الأولى -سنة النشر: ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

٥. تفسير الجلالين -للإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي الناشر: دار الحديث – القاهرة -الطبعة: الأولى -سنة النشر: ٢٠٠٣م.

٦. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – للإمام فخر الدين الرازي -الناشر: دار الفكر-الطبعة الأولى -سنة النشر: ١٤٠١ – ١٩٨١.

٧. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني -شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي -المحقق: علي عبد الباري عطية -الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت -الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٨. صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني -الناشر: دار الصابوني – القاهرة -الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٩. كتاب أسباب النزول -علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي

١٠. كتاب العجاب في بيان الأسباب (أسباب النزول) – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق: فواز أحمد زمرلي.

١١. لباب النقول في أسباب النزول -عبد الرحمن جلال الدين السيوطي.

١٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن -تفسير البغوي-أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي -حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش-دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٣. تفسير البحر المحيط -- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، أبو حيان، الغرناطي الأندلسي.

١٤. إعراب القرآن – إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج – تحقيق إبراهيم الأبياري.

١٥. معاني القرآن -أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظورالديلمي الفراء-المحقق: أحمد يوسف النجاتي -محمد علي النجار-عبد الفتاح اسماعيل الشلبي.
١٦. معاني القرآن – أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكسائي – تحقيق: عيسى شحاته عيسى علي – دار قباء – الطبعة الأولى – ١٩٩٨.
١٧. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي -الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القاضي وكِفَايةُ الراضي عَلَى تفْسيرِ البيضاوي -أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي دار النشر: دار صادر – بيروت.
١٨. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي – عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي القونوي – المحقق: عبد الله محمود محمد عمر – دار الكتب العلمية – سنة النشر: ١٤٢٢-٢٠٠١.
١٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – أبو الحسن برهان الدين ابراهيم بن عمر بن الرُّبَاط بن علي بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي -دار الكتاب الاسلامي.
٢٠. تفسير الراغب الأصفهاني – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – تحقيق د. محمد عبد العزيز بسيوني-الناشر: كلية الآداب جامعة طنطا – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ٢٢
٢١. كتاب مفردات ألفاظ القرآن -للراغب الأصفهاني -المحقق: صفوان عدنان داوودي -دار القلم - الدار الشامية – الطبعة الرابعة -١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٢٢. لسان العرب -محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري -دار صادر – بيروت.
٢٣. تفسير الخازن – لباب التأويل في معاني التنزيل – أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيحي الخازن – تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م
٢٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي – المحقق محمد بن عبد الرحمن المرعشلي
٢٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية – محمد بن علي بن محمد الشوكاني – دار المعرفة – سنة النشر ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٤ م.
٢٦. كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول -محمد بن علي الشوكاني -تحقيق: سامي بن العربي الأثري -تاريخ النشر: ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٥.
٢٧. تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي – الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر -الطبعة الاولى - ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م
٢٨. التفسير الميسر للقرآن الكريم -تفسير القرآن الكريم
٢٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان -تفسير السعدي -عبد الرحمن بن ناصر السعدي – المحقق: سعد بن فواز الصميل.

٣٠. التحرير والتنوير -تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي.
٣١. تفسير القرآن الكريم (تفسير العثيمين) – الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٣٢. كتاب سلسلة محاسن التأويل – صالح بن عواد بن صالح المغامسي.
٣٣. مباحث في علوم القران -مناع القطان -مؤسسة الرسالة -الطبعة الخامسة والثلاثون – ١٩٩٨.
٣٤. التفسير والمفسرون -الدكتور محمد حسين الذهبي -مكتبة وهبة – الطبعة السابعة – سنة النشر/٢٠٠٠.
٣٥. المعجم الأوسط -سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني -دار الحرمين – القاهرة.
٣٦. معجم المعاني الجامع.
٣٧. معجم اللغة العربية المعاصرة -د. أحمد مختار عبد الحميد عمر-عالم الكتب، القاهرة -الطبعة الأولى -١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.
٣٨. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية -د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم.
٣٩. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
٤٠. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة – يوسف الحاج أحمد. الطبعة الثانية – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م – دار ابن حجر بدمشق.
٤١. بحوث الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
٤٢. موقع المكتبة الإسلامية الشاملة.
٤٣. موقع المكتبة الوقفية للكتب.
٤٤. موقع موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية.
٤٥. منتدى الدفاع عن السنة.
٤٦. ملتقى أهل التفسير
٤٧. منتديات حراس العقيدة.
٤٨. بحث للأستاذ الدكتور/ مصطفى إبراهيم حسن -من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة تركيا ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
٤٩. موقع الإسلام اليوم.
٥٠. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – د. عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني.
٥١. موقع صيد الفوائد.
٥٢. موقع شبكة مشكاة الإسلامية.
٥٣. موقع عبد الدائم الكحيل.
٥٤. الحشرات في القرآن الكريم والسنة النبوية-بحث تخرج.
٥٥. صحيفة وقائع -تصدر عن مركز وسائل الإعلام بمنظمة الصحة العالمية

٥٦. مجلة المسلمون.
٥٧. موقع الألوكة.
٥٨. موقع دوت مصر.
٥٩. موقع الشيخ الدكتور ظافر بن حسن ال جبعان.
٦٠. موقع الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت.
٦١. موقع الحقيقة في كشف الحقائق المخفية.

الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد برقم (١٩) لسنة ٢٠١٧

فهرست المحتويات:

المقدمة	٢
كلمة لابد منها	٥
مفهوم الإعجاز العلمي	٦
ضوابط الإعجاز العلمي	٨
بعض الحقائق المكتشفة عن البعوضة	١٦
التركيب الداخلي لجسم البعوضة	٢٢
فاعلية الإناث	٢٦
البعوضة من أخطر الآفات	٢٩
الشواهد العلمية	٣١
كائنات ضئيلة تتحدى البشر	٣٨
لماذا ينقل البعوض الملاريا ولا ينقل الإيدز؟	٤١
أسباب نزول الآية الكريمة	٤٢
أقوال بعض المفسرين للآية الكريمة	٤٧
خلاصة معاني لفظة (فوق)	٦٣
الإعجاز العلمي في الآية الكريمة	٧٧
البعوضة والإعجاز الإلهي	٨١
الخاتمة	٨٥
المصادر والمراجع	٨٧